العراق

الأرض والتاريخ

لماذا العراق ؟

أمل خليفة

دار المدائن

الطبعة الأولى
١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م

رقـــم الإيـــداع : ٢٠٠٣/٣٣٠١
الترقيم الدولى : I.S.B.N
477.5339.64.2

دار المدائن للنشر والتوزيع
العجمى : البيطاش - مدينة الأندلس والحجاز - عمارة ١٤
سموحة :٢٧ ش محمود داود - عمارة الجمارك - الدور الثانى
الاسكندرية - تليفاكس : ٤٢٤٠٢٠٣

مقدمة

إذا وصل إليك خبرٌ مفاده أن صديقاً لك مريض وسيحتاج إلى إجراء عملية جراحية ثم أخبرت عدداً من الأصدقاء بهذه المعلومة فسترى عدداً من ردود الأفعال تتناسب مع معرفة هؤلاء الناس بالشخص المريض . سترى من ينتفض ملتاعاً ويواجهك بسيل من الأسئلة كيف ومتى وأين . .يسأل عن طبيعة مرضه ومتى حدث هذا ومن هو الطبيب الذى سيجرى له العملية وفي أى مستشفى و . . و . .

وستجد كذلك من يسأل سؤالاً مقتضباً عن الأمر . . وهكذا ، وحتماً ستجد من بينهم من يشير إليك بيده قائلاً الله الشافى . . يشفى كل مريض . وردود أفعال هؤلاء الناس بالتأكيد تكشف بصدق عن طبيعة علاقتهم بالمريض وتعكس مشاعرهم نحوه .

والآن أسوق إليك خبراً آخر : إن جيش الولايات المتحدة سيضرب العراق بالمدافع والبوارج والقنابل والصواريخ و . . و . . وكلنا وصل إلى أسماعنا هذا الخبر فما هو رد فعلنا ؟؟ هل نحن من الصنف الأول الذى انتفض كالملسوع ؟ أم أننا كالذى يليه أو الذى يليه . .

أقول بصدق أن أغلبنا يكاد يكون هو الشخص الأخير الذى أشار بيده ولسان حاله يكاد يقول ماذا بيدنا أن نفعل لهم .

ولهذه العلاقة الفاترة أسباب أهمها هو أننا لا نكاد نعرف شيئاً عن " العراق" هذه سوى نذر يسير من بقايا دروس التاريخ التى تركت فى الذاكرة رؤية شاحبة باردة خالية من تفاصيل .

إن كنا نعتقد اعتقاداً جازماً أن العراق هذه هى بلادنا وبلاد كل المسلمين ، وأهلها هم إخواننا وأشقاؤنا . . يجمع بيننا وبينهم الدين

واللغة والتاريخ فكان الطبيعى إن طالهم الأذى أن يغلى الحزن فى القلوب وأن تلهج الألسنة بالدعاء وتنساب الدموع من فرط الألم وتأتينا الذكرى فى الليل فيجافينا النوم ..

ولنسأل أنفسنا بصراحة لو أن لى ابناً أو أخاً شقيقاً أو أقارب يعيشون فى العراق هل كانت مشاعرى ستختلف ؟؟

لكن الحقيقة أننا لا نكاد نعرف شيئاً عن بلاد المسلمين ، وعندما يغيب عنى كل شئ عن دولة .. حجمها وعدد سكانها وأسماء المدن فيها وشكل علمها وتاريخ استقلالها أو .. أو .. فكيف يمكن أن تتولد المشاعر لدى تجاه أهلها وساكنيها ؟؟

إن المشاعر والأحاسيس تتولد لدى المرء من معلومة يعيها العقل فتحرك الشعور ، وكلما قويت المعلومة وتكررت وتنوعت فى أشكالها من صورة إلى مقال إلى .. إلى .. كلما تحرك الوجدان .

والعكس صحيح فإن المعلومة إذا غابت توارت المشاعر ، كالطفل الذى ينظر إلى النار وهولا يعرف أن من صفاتها أنها تحرق فيتعامل معها بغير حذر حتى تحرقه ذات مرة فيعرف أنها ذات ضرر ويذوق حرقة الألم فتتكون لديه مشاعر الحذر نحوها بعد ذلك بما أختزنه عقله من معلومة مؤكدة .

فما الذى يميز العراق لدينا عن غيرها من البلدان ؟ وما الذى تختزنه الذاكرة عنها وعن أهلها حتى تتحرك فينا المشاعر والأحاسيس ؟ .

إن لم يكن لديك معلومة فاقرأ هذه السطور بشئ من الاهتمام .

أمل محمد خليفة

يناير ٢٠٠٣م

العراق

المساحة :

ترى كم تبلغ مساحة العراق ؟

إن مساحة العراق أقل من نصف مساحة جمهورية مصر العربية ، فهى تقدر بحوالى ٤٤٨ ألف و ٧٤٢ كم مربع (الأطلس العربى) .

السكان :

أما سكان العراق فعددهم تقريباً مثل عدد ثلث سكان مصر ، والإحصاءات الأخيرة تقدرهم بحوالى ٢٣ مليون نسمة . (تقدير ٢٠٠١) .

والعرب يمثلون غالبية السكان (من ٧٥ إلى ٨٠ ٪) ، بينما يشكل الأكراد من ١٥ إلى ٢٠ ٪ من إجمالى عدد السكان .

ويشكل المسلمون ٩٧٪ من السكان : الشيعة يمثلون من ٦٠ إلى ٦٥٪ ، بينما السنة من ٣٢ إلى ٣٧٪ .

اللغة الرسمية : اللغة العربية هى اللغة الرسمية ، والتالية لها هى الكردية .

العاصمة : بغداد

التقسيمات الإدارية : تنقسم العراق إدارياً إلى ١٨ محافظة .

وأسماء المحافظات بعضها معتاد ومفهوم بينما بعضها الآخر مستغرب غير معتاد ، وأنت إذا تأملت فى أسماء محافظات مصر ستجد مثيلاً لهذا الأمر .

وأسماء المحافظات العراقية هى كالآتى من الشمال إلى الجنوب :

دهوك – أربيل – نينوى – التأميم –السليمانية – صلاح الدين –

ديالى – بغداد – الأنبار – الواسط – بابل – كربلاء – القادسية – ميسان – النجف –ذى قار – المثنى – البصرة .

وكما ترى فإن بعضها مرتبط بأشخاص لهم شأن فى تاريخ البلاد كالمثنى نسبة إلى المثنى بن حارثة الشيبانى الذى قاد باكورة الفتح الإسلامى للعراق .

أو صلاح الدين الذى ولد فى مدينة تكريت وهى عاصمة المحافظة المسماة باسمه .

أو السليمانية نسبة إلى سليمان باشا الكبير أحد ولاة بغداد فى القرن الثامن عشر .

وبعضها مرتبط باسم المدن أو الأماكن مثل بغداد والبصرة وكربلاء و القادسية . .

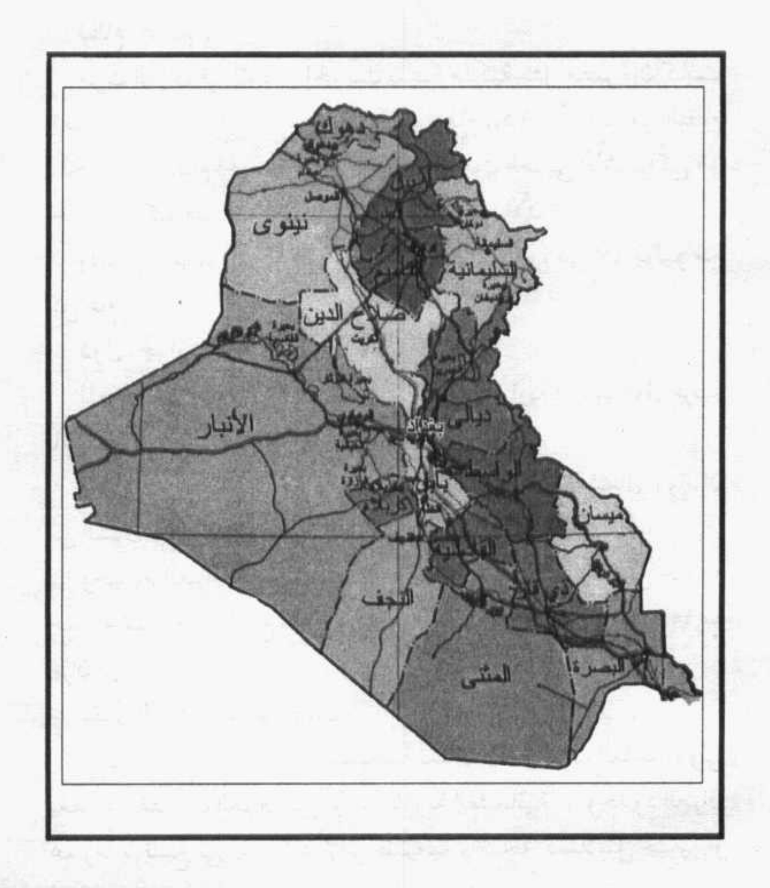
وكل محافظة من المحافظات مقسمة إلى عدد من التقسيمات الإدارية الأصغر تسمى" الأقضية " .

العملة :

عملة العراق منذ عام ١٩٣١ م هى الدينار العراقى وهو يساوى ألف فلس .

العَلَم :

علم العراق يشبه علم مصر بالألوان الثلاثة الأحمر فى أعلاه ثم الأبيض ثم الأسود فى أسفله غير أن المنطقة الوسطى البيضاء بها ثلاث نجوم بدلاً من النسر ، وفى عام ١٩٩١ تمت إضافة جملة " الله أكبر "بين النجوم الثلاث .



خريطة محافظات العراق

نظام الحكم :

مرت العراق فى العصر الحديث بفترة ملكية مثل مصر وإن كانت أقصر كثيراً من مثيلتها فى مصر ، وفى عام ١٩٥٨ تحولت من النظام الملكى إلى النظام الجمهورى . وحزب البعث العربى الاشتراكى هو الحزب الحاكم منذ ١٧ يوليو عام ١٩٦٨م حتى الآن .

ولذا فإن عيد الدولة القومى يوافق ذكرى الثورة فى ١٧ يوليو من كل عام .

دول الجوار :

للعراق ست دول تشترك معها فى الحدود ، أربعة منها دول عربية بالإضافة إلى إيران وتركيا .

فالأردن وسوريا يجاورونها من الغرب ، وتركيا من الشمال ، وإيران من الشرق ، أما من الجنوب فالكويت والسعودية .

وحدود العراق مع جيرانها هى حدود مصطنعة ، وهى حدود حديثة تمت خلال الربع الأول من القرن العشرين باستثناء حدودها مع إيران .

يقول الأستاذ جاسم الخلف :

" إن معظم حدود العراق السياسية نشأت بعد الحرب العالمية الأولى بعد ما أنفصلت العراق عن الإمبراطورية العثمانية .. وحدود العراق عموماً لا تتبع فى سيرها عوارض طبيعية واضحة كسلاسل جبلية أو أنهار .. " . (جغرافية العراق الطبيعية - جاسم محمد الخلف) .

ولما كانت بريطانيا هى التى وضعت يدها على العراق بموجب انتدابها عليه عقب الحرب العالمية الأولى لذا فقد كان لها دخل كبير فى رسم حدود العراق مع جيرانها ، فهى التى رسمت الحدود بين

العراق وبين كل من الأردن والكويت .

والحدود بين العراق وسوريا حددتها معاهدة سايكس بيكو لتقسيم الممتلكات التابعة للدولة العثمانية بين بريطانيا وفرنسا عام ١٩١٦ م .

وكذلك الحدود بين العراق وتركيا كان باتفاق ثلاثى بين العراق وتركيا وبريطانيا .

أما الحدود بين العراق وإيران فهى تعد أقدم الحدود إذ كانت الخط الفاصل بين الدولة العثمانية والدولة القائمة فى إيران (الدولة الصفوية) .

وحدود العراق مع إيران هى الأطول من بين جيرانها الستة (حوالى ١٢٠٠ كم) ، بينما حدودها مع الأردن هى الأقصر (حوالى ١٥٠ كم) .

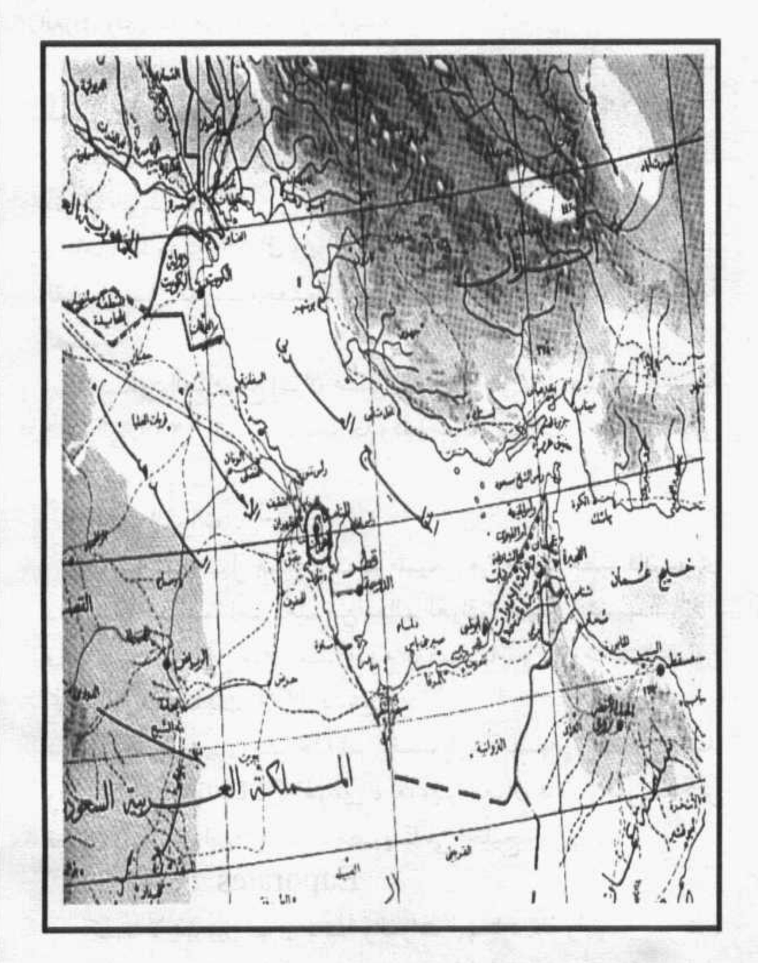
دجلة والفرات :

كما أن نهر النيل هو أهم معلم طبيعى من معالم مصر فإن نهرى دجلة والفرات هما أهم معلم من معالم العراق وإليهما تنتسب البلاد ، فقد كانت العراق تعرف منذ أقدم العصور باسم بلاد ما بين النهرين كما يقال لها كذلك بلاد الرافدين .

ونهر النيل يجرى متوحداً ثم ينقسم قرب مصبه إلى فرعى رشيد ودمياط مكونا الدلتا بين الفرعين ، أما نهرا العراق فالأمر على العكس فهما لا يتحدان أصلاً إلا قرب مصبهما فى الخليج العربى .

نهر الفرات : **Euphrates**

أكثرنا لا يميز بين نهرى دجلة والفرات أيهما دجلة وأيهما الفرات ، ونهر الفرات هو النهر الغربى فيهما وهو أطول من نهر دجلة ، وطوله الكلى حوالى ٢٧٠٠ كم منها ١٢٠٠ كم داخل الأراضى العراقية .



خريطة دول الخليج العربى

ونهر الفرات ينبع من الهضاب التركية ويشق طريقه ثم يدخل إلى الأراضى السورية قبل أن يدخل إلى الأراضى العراقية ، وبذلك تشترك فيه ثلاث دول تركيا وسوريا والعراق .

ومن الملاحظ أن نهر الفرات ليس له فى الأراضى العراقية أى رافد .

نهر دجلة : **Tigris**

ينبع نهر دجلة من المرتفعات الواقعة جنوب شرق تركيا ، كما تستفيد إيران بعدة روافد منه ، وبذلك تشترك فيه تركيا والعراق بصورة أساسية كما تشترك معهما إيران بقدر ضئيل .

ويقدر طول دجلة الكلى بحوالى ١٧٢٠ كم ، منها ١٤١٨كم فى الأراضى العراقية .

الفيضانات :

يبدأ موسم فيضان النهرين من شهر فبراير ويبلغ أعلاه فى إبريل وينتهى فى شهر مايو .

وفيضان النهرين يمثل خطراً كبيراً على البلاد منذ القدم وبخاصة أن الفيضان يحدث بدون مقدمات نظراً لذوبان كميات كبيرة من الثلوج عند منابع النهرين بصورة مفاجئة ، ونهر دجلة يتميز بخطورة الفيضان المفاجئ أكثر من الفرات .

ولهذا السبب فإن معظم المدن العراقية القديمة القريبة من النهرين بنيت على مناطق مرتفعة تحسباً للفيضانات .

أما فى العصر الحديث فالعراق لديه ترتيبات خاصة للسيطرة على الفيضان تتمثل فى عدد من الخزانات والقناطر والسدود .

والنهران يلتقيان قبيل مصبهما حيث يكونان مجرى مائى يطلق عليه اسم " شط العرب " يصب فى الخليج العربى .



خريطة العراق

وهذا المجرى المائى القصير الذى يطلق عليه اسم شط العرب هو الذى يفصل بين العراق وإيران ، وهو يعد واحداً من أهم أسباب الخلاف القديمة بين البلدين للتنازع على السيطرة على الملاحة فيه .

الساحل العراقى :

من الأمور الشاذة فى تقسيم حدود المنطقة أن دولة العراق رغم كبر مساحتها ليس لها منفذ على الماء بخلاف ممر ضيق على الخليج العربى .

فدولة العراق تطل على الخليج العربى بساحل ضيق ، وليس للعراق أى منفذ على البحار باستثناء هذا المطل الضيق لذا فهو مخرجها الوحيد على العالم الخارجى .

" يتمتع العراق بثالث أكبر مساحة بين الدول الخليجية الثمانى بعد المملكة السعودية وإيران ، ومع ذلك لا تتجاوز سواحله المطلة على الخليج العشرة أميال أى ما نسبته ٠,٤ ٪ من إجمالى سواحل الخليج " . (الموسوعة التاريخية الجغرافية – مسعود الخوند) .

فمن المفارقات الغريبة أن دولة البحرين التى لا تتجاوز مساحتها واحد على ستمائة من مساحة العراق (مساحتها ٦٩٢كم مربع) يقدر طول ساحلها على الخليج العربى بنحو ٦٨ ميلاً ، بينما يبلغ ساحل إيران مثلاً ٦٣٥ميلاً .



تاريخ العراق

الحضارات القديمة فى العراق :

منذ القدم والناس يبحثون عن الموضع الملائم للسكنى ، وحيثما وجدت الأنهار والأرض الخصبة طاب العيش وظهرت التجمعات السكانية ، وكما كانت حضارة الفراعنة هى الحضارة القديمة فى مصر حيث نهر النيل فقد ظهرت فى العراق حضارات قديمة وأقدمها الحضارة السومرية القديمة ثم تعاقبت الدول على البلاد كالآشوريين والبابليين كما غزاها الفرس ثم الإسكندر المقدونى . .

وعندما بعث النبى ﷺ كانت بلاد العراق يحكمها العرب المناذرة ولكنهم كانوا واقعين تحت سيطرة الإمبراطورية الساسانية الفارسية .

الفتح الإسلامى :

تعتبر العراق هى باكورة الفتح الإسلامى ، فقد بدأت جيوش المسلمين فى التحرك نحوها فى مستهل العام الثانى عشر من الهجرة أى بعد وفاة النبى ﷺ بعام واحد فى زمن الخليفة أبى بكر الصديق بمجرد أن أنهى الخليفة بنجاح مهمة تأديب المرتدين فى مختلف أنحاء الجزيرة العربية .

وفى أثناء حروب الردة برز اسم قائد من أهل البلاد هو المثنى بن حارثة الشيبانى عندما قام بتجميع كوكبة من الشباب المسلم لمقاومة المرتدين بغير تكليف من الخليفة أبى بكر .

وقد كان المثنى يتشوق لأن يصل نور الإسلام إلى أهل العراق ، ويرى أنه قد آن للإسلام أن ينطلق عبر البلاد لتصل دعوة التوحيد للقاصى والدانى لا يحجبها فرس ولا رومان . لذا فقد سافر إلى المدينة

ليقابل الخليفة أبا بكر ليشجعه على حمل لواء التوحيد إلى بلاد العراق والتصدى للفرس .

يقول د. عبد العزيز العمرى :

"بدأت حركة الفتح الجهادية فى فارس على يد القائد المسلم المثنى بن حارثة الشيبانى رضى الله عنه الذى طلب من أبى بكر الصديق رضى الله عنه أن يأذن له بمحاربة الفرس والإغارة عليهم بمن معه من مسلمى قومه لقربهم منهم . وبالفعل بدأ المثنى يغير على أطراف العراق الجنوبية . . " (الفتوح الإسلامية عبر العصور – د. عبد العزيز بن إبراهيم العمرى) .

وقد استجاب الخليفة أبو بكر فبعث إلى العراق بجيشين أمّر على أحدهما سيف الله المسلول خالد بن الوليد وأمر على الآخر الصحابى عياض بن غنم وهو صحابى جليل ممن شهدوا بدراً والمشاهد كلها مع النبى ﷺ .

شرف الاشتراك فى الفتوح :

من الأمور التى تستلفت الأنظار بشدة أن الخليفة أبا بكر منع من سبق له الردة أن يشترك فى الفتوح حتى بعد أن ثاب إلى الإسلام وصدقت توبته وكما يقول الأستاذ /محمد أحمد باشميل :

" كان الخليفة الأول قد أصدر مرسوماً يمنع بموجبه كل من سبق له الارتداد عن الإسلام – حتى وإن تاب – عن الاشتراك مع المجاهدين فى قتال الفرس والروم . . " القادسية ومعارك العراق – محمد أحمد باشميل .

وقد سار الخليفة عمر بعد أبى بكر على نفس النهج مما يشير إلى أن الأمر لم يكن مجرد معركة تدور رحاها وإنما كانت شرفاً لمن يخوضها ؛ إذ أنه يخوض معركة لإعلاء كلمة الله وإزالة العقبات من بقايا الدول الوثنية التى تسيطر على البلاد من أمام دعوة التوحيد لتصل إلى

أرجاء المعمورة . ولذلك فقد كانت تسمى " فتوحاً " وليست مجرد معارك عادية ، وكانوا يعتبرون البلد التى يدخلها المسلمون قد فُتحت أمام دعوة التوحيد .

وكان الحرمان من هذا الشرف هو بمثابة العقوبة على سبيل التأديب لمن سولت له نفسه يوماً الرجوع عن الإسلام والرضا بغيره .

سيف الله المسلول فى العراق :

ورغم أن جيش القائد عياض تعرقلت حركته فتعطل عن المسير إلا أن جيش القائد خالد انطلق كالسهم ،وسرعان ما توالت الانتصارات حتى تمكنت جيوش المسلمين يقودها سيف الله خالد من فتح ثلثى العراق فى أربعين يوماً !!

يقول الأستاذ باشميل :

" لقد تمت لجيوش خالد السيطرة على أكثر من ثلثى القطر العراقى خلال أربعين يوماً ، وهو دونما شك إنجاز عسكرى عظيم تعجز اليوم عن تحقيق مثله الجيوش المدججة بالصواريخ والأساطيل والطائرات والدبابات . . " . القادسية ومعارك العراق – محمد احمد باشميل .

حروب فريدة من نوعها :

جرت العادة على أن الجيوش المنتصرة ينتشر جنودها فى البلاد ينهبونها ويعيثون فى أرجاءها فساداً ، لكن سلوك هؤلاء الفاتحين كان مستغرباً لا يشبه أحداً قبلهم ممن دخل البلاد منتصراً ، فقد كانت جيوشهم المنتصرة تدخل إلى المدن فى أمان لا يتناسب مع ضراوة المعارك التى خاضوها ، ولم يؤذوا عامة الناس من الفلاحين بل وأكثر من ذلك لم يمسوا أراضيهم أو ينزعونها منهم . يقول الأستاذ باشميل :

" أما الفلاحون من الفرس الذين لم يشهروا سلاحاً فى وجه المسلمين

فقد كانت أوامر الخليفة الأول تقضى بأن يخلى القائد خالد بينهم وبين أراضيهم ويمنحهم الأمان على أن يكونوا فى ذمة المسلمين وتحت سلطانهم .. إن المسلمين حينما يقومون بغزو أو يشنون حرباً ليس دافعهم الكسب و الإثراء .. وإنما دافعهم إفساح الطريق لكلمة التوحيد لتأخذ طريقها إلى من ليس مسلماً ليعرفها على حقيقتها ثم هو بعد ذلك مخير فى قبولها أو عدم قبولها .. " .

القادسية ومعارك العراق – محمد احمد باشميل .

ودخل القائد خالد بن الوليد بجيشه الظافر مدينة " الحيرة " عاصمة ملوك العرب المناذرة فى بلاد العراق فاتحاً منتصراً .

وطارت الأنباء إلى المدينة فقام الخليفة أبو بكر إلى المسلمين يزف إليهم أخبار النصر وهو يقول " أعجزت النساء أن ينشئن مثل خالد " .

انصراف خالد عن العراق :

غير أن الخليفة أبو بكر اضطر إلى صرف سيدنا خالد من بلاد العراق إلى الشام ومعه نصف الجيش لنجدة جيوش المسلمين فيها بعد أن تجمعت عليهم جيوش الرومان واحتاجوا إلى المدد ، إذ بلغ المسلمين أن ربع مليون مقاتلاً من الروم قد تجمعوا إزاء الجيوش المسلمة التى لا تزيد على ٣٢ ألفاً فدفع أبو بكر بخالد إليهم بعد أن قضى فى العراق من المحرم عام ١٢ وحتى شهر صفر عام ١٣ هجرياً أى أنه زاد شهراً فوق العام .

وفى العراق قاد المثنى بن حارثة نصف الجيش الباقى معه ، لكن الأخبار قد تواترت بأن الفرس بدورهم يجيشون الجيوش ليستأصلوا شأفة المسلمين من البلاد .

كان الأمر حرجاً فقد كان جيش المثنى لا يزيد عن تسعة آلاف حينما وصل إليهم أن مئات الآلاف من الفرس قد تجمعوا لهم مما دفع القائد المثنى إلى السفر من جديد إلى المدينة لملاقاة الخليفة أبى بكر ليشرح له حرج الموقف ، لكنه وجده فى النزع الأخير فندب الخليفة عمر الناس للخروج إلى الجهاد .

وتكررت بشريات النصر على المدينة تفد للخليفة عمر المرة تلو المرة ، غير أن الوافد قدم ذات صباح بما كدر الصفو للمرة الأولى منذ أن بدأت الفتوح .. فقد هُزم جيش المسلمين هزيمة منكرة فى موقعة عُرفت باسم " الجسر " .

هزيمة الجسر :

فى هذه المعركة التى عرفت باسم يوم " الجسر " عبر المسلمون النهر لملاقاة جيوش الفرس على جسر لهم صنعوه ، فصار النهر بذلك خلفهم والعدو أمامهم .

ودارت المعركة، وضغط جيش الفرس المجهز بالأفيال ضغطة شديدة على جيش المسلمين فلم يجد المسلمون وراءهم متسعاً للتقهقر ، وبادروا إلى الجسر للعبور إلى الجانب الآخر من النهر فخاف بعضٌ من المتحمسين أن يفر الجيش أمام عدوهم وأرادوا أن يرغموا إخوانهم على التقدم فقاموا بقطع الجسر ليقطعوا طريق العودة على الجيش .

وزادت ضغطة الفرس وسادت الفوضى فتساقط المسلمون فى النهر ، ومرت فترة عصيبة على الجيش المسلم المحصور حتى قامت مجموعة فدائية بإعادة الجسر إلى موضعه فتمكن جيش المسلمين من عبور النهر والتراجع بعد أن استشهد أربعة آلاف مسلم ما بين قتيل وغريق واستشهد القائد وهو صحابى اسمه أبو عبيد بن مسعود الثقفى هو

وأخوه وأبناءه الثلاثة تحت أقدام الفيلة وجرح المثنى بن حارثة جرحاً شديداً .

ورغم أن الجيش المسلم انسحب من أمام عدوه إلا أنهم استبسلوا فى القتال حتى بدا انتصار الفرس عليهم انتصارا منقوصاً فخسائرهم فى الأرواح كانت أكبر من المسلمين من حيث العدد إذ قتل منهم أكثر من خمسة آلاف رغم انتصارهم فى المعركة كما أنهم لم يأسروا واحداً من المسلمين .

وقد كان من المفترض أن يبادر الفرس المنتصرون إلى تعقب الجيش المسلم المغلوب الذى فقد قائده وساده الاضطراب ليقضوا عليهم غير أنهم اكتفوا بهذا القدر وسارع قائدهم إلى السير بجيشه إلى المدائن عاصمة البلاد لوصول أخبار عن اشتعال ثورة مسلحة ضدهم فيها .

كانت هذه الهزيمة بمثابة الصدمة لأهل المدينة الذين ألفوا أخبار الانتصارات المتوالية ، فقد توقفت منظومة الانتصارات التى لازمت جيوش المسلمين منذ وطئوا بأقدامهم بلاد العراق . .

وكانت الفرصة سانحة أمام الفرس المنتصرين ليواصلوا هجومهم بعد أن فتح هذا النصر شهيتهم لقتال المسلمين .

التائبون فى صفوف الجهاد :

فتح الخليفة عمر باب التطوع على مصرعيه أمام المسلمين للخروج إلى العراق ، وفى بادرة عمرية رفع الحظر عن الذين سبقت لهم الردة ليكفروا عن ذنبهم ويقيلوا عثرة جيش المسلمين وليحولوا الهزيمة إلى نصر فتوافدوا فرحين إلى الجهاد بعد أن حرموا منه أعواماً .

نصر البويب :

وفد على القائد المثنى فى العراق من المدينة ثمانية آلاف بالإضافة

إلى أربعة آلاف ممن بقوا معه فاكتمل جيشه اثنى عشر ألفاً ، أما الفرس فقد جمعوا جيشاً من الفرسان قوامه مائة ألف فارس رغبة فى تحقيق نصر جديد على المسلمين بعد يوم الجسر .

والتقى الجيشان غرب الفرات فى موضع يسمى " البويب " فى شهر رمضان سنة ١٣ هجرياً .

وقد دارت معركة حامية بين قوتين غير متكافئتين لا فى العدة ولا فى العتاد ، غير أن جيش المثنى نجح فى أن يمحو هزيمة الجسر ببسالة وبطولة ، أما الذين اشتركوا فى المعركة ممن تابوا بعد الردة فقد كانوا هم شعلة المعركة ووقودها ، وتسابقوا على الشهادة فى شوق حتى نالها عددٌ كبيرٌ منهم .

يقول عنهم الأستاذ باشميل :

" كان هؤلاء الذين وصمهم عار الردة قد تابوا توبة نصوحا وصاروا على أحر من الجمر ليرفع عنهم حظر الاشتراك في الجهاد فينطلقوا – صادقين – كالأسود الضوارى ضد أعداء الله . " القادسية ومعارك العراق – محمد أحمد باشميل .

فإن كانت الأمم تعلم أطفالها وشبابها تاريخ أمتهم وتعلمهم كيف يفخروا بانتصاراتهم فمن منا يفخر اليوم بنصر المسلمين فى البويب على تراب العراق .. بل لنقل من منا سمع قبل هذا عن معركة اسمها البويب !! . وقد قيل عن معركة البويب هذه أنها هى التى مهدت للقادسية من بعدها ، وهى التى فتحت أبواب العراق من جنوبه إلى شماله أمام المسلمين .

المعركة الفاصلة :

أمام هذه الهزيمة المخجلة فى البويب من جيش المثنى المتواضع أراد

قادة الفرس أن يضعوا حداً لهذه المخازى بأن يجمعوا كل طاقتهم لينقضوا على جيش المسلمين فى معركة فاصلة .

ووصلت الأنباء إلى المسلمين بأن حشود الفرس تتجمع للقضاء عليهم ولتستأصلهم نهائياً من العراق ، بل وقد تتجاوز العراق إلى الجزيرة العربية إن هى حققت النصر على جيش المسلمين .

وأراد الخليفة عمر أن يخرج بنفسه على رأس الجيش لولا أن أشار عليه الصحابة بأن يبقى فى المدينة ليكون مدداً لجيش المسلمين إن احتاج المدد فاختار القائد سعد بن أبى وقاص ليقود الجيش .

موقعة القادسية (شعبان عام ١٥ هجرياً) :

تحرك القائد سعد ومعه جيشه صوب العراق ، ولكن قبل أن يصل إليها كان القائد البطل المثنى بن حارثة قد استشهد متأثراً بجراحه .

ولما وصل القائد سعد إلى العراق عسكر بجيشه فى موضع يسمى القادسية ، وقد سميت المحافظة التى وقعت بها هذه المعركة باسم القادسية . وفى شهر شعبان عام ١٥ هجرياً دارت المعركة الفاصلة على أرض القادسية بين جيش المسلمين وقوامه ثلاثين ألف جندى وبين الفرس فى مائة وعشرين ألف جندى معهم ثلاثين من الأفيال المدربة . أى أن جيش الفرس كان من حيث العدد يماثل أربعة أضعاف جيش المسلمين .

وقد استمرت المعركة على مدى أربعة أيام ، استشهد فى اليوم الثانى منها أبناء الخنساء الأربعة . .

وكان النصر المؤزر حليف جيش المسلمين الذى كان يضم بضعة وسبعين بدرياً ممن شهدوا بدراً .

" البصرة" أول مدينة للمسلمين فى العراق :

وواصل الجيش المظفر المسير فى أرض العراق ، وكلف الخليفة عمر الصحابى الجليل عتبة بن غزوان أن يرابط بجيشه عند المنفذ الذى يطل على الخليج العربى ليحمى ظهر جيش المسلمين ويمنع وصول المدد إلى الفرس ، فارتحل عتبة إلى الموقع الذى حدده الخليفة عمر وأقام فيه حيث أنشأ مدينة جديدة فى هذا الموضع عرفت باسم مدينة " البصرة " .

وبذلك تكون مدينة البصرة هى أول مدينة شيدها المسلمون فى بلاد العراق وكان هذا عام ١٦ هجرياً عقب وقعة القادسية .

وإلى الآن تقع " البصرة " عند مصب نهرى دجلة والفرات ولها ميناء بحرى يعد المنفذ الوحيد للعراق على العالم عبر البحار لذا عرفت بأنها " باب العراق " ، ولا يزال المسجد الجامع الذى بناه عتبة بن غزوان قائماً بها حتى الآن .

فتح المدائن :

ولم تكد ستة أشهر تمر بعد القادسية حتى دخل جيش سعد بن أبى وقاص إلى " المدائن "عاصمة الدولة الفارسية وجوهرة تاجهم بعد أن فروا منها خوفاً من جيش المسلمين التى لا يملك جيش مهما بلغ عدده وعدته أن يوقفه .

وكانت المدائن تتألف من سبع مدن متلاصقة مبنية على جانبى دجلة شرقاً وغرباً ولذلك جاء اسمها " المدائن " ، وهى تقع إلى الجنوب من مدينة بغداد الآن .

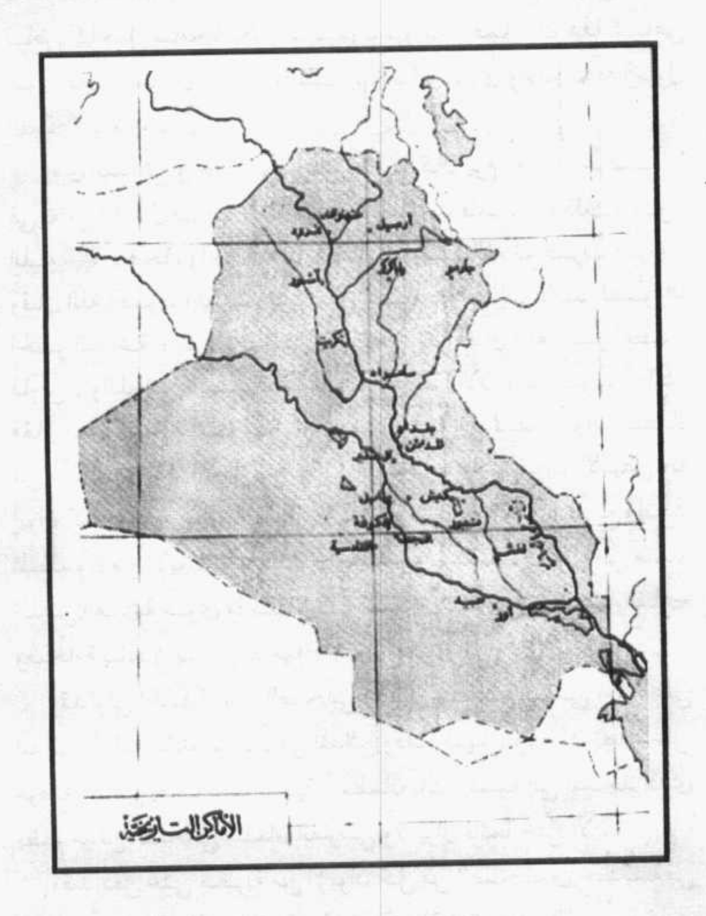
وعندما دخل جيش سعد إلى أولى هذه المدائن –واسمها طيسفون

بالفارسية -على شاطئ نهر دجلة وكان الوقت ليلاً لاح لهم فى الظلام بياض كالجبل شامخاً فكبر المسلمون لرؤيته ، فما كان هذا البياض سوى قصر كسرى الأبيض بقبته البيضاء الذى وعدهم به رسول الله ﷺ يوم الخندق .

روى النسائى وأحمد . قال البراء : لما كان يوم الخندق عرضت لنا فى بعض الخندق صخرة لا تأخذ منها المعاول ، فاشتكينا ذلك لرسول الله ﷺ ، فجاء وأخذ المعول فقال : « بسم الله ثم ضرب ضربة ، وقال الله أكبر ، أعطيت مفاتيح الشام ، والله إنى لأنظر قصورها الحمر الساعة ، ثم ضرب الثانية فقطع آخر فقال الله أكبر أعطيت فارس ، والله إنى لأبصر قصر المدائن الأبيض الآن ، ثم ضرب الثالثة فقال الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن ، والله إنى لأبصر أبواب صنعاء من مكانى » . وقد دخل سعد بن أبى وقاص إلى القصر الأبيض وبه إيوان كسرى فأمر بأن تخمد النار فيه ثم صلى فيه صلاة الفتح وأتخذ المسلمون من الإيوان بعد ذلك مسجداً . ولم يعد الآن باقياً من مدينة المدائن القديمة سوى واجهة إيوان كسرى تدلل على مدى ارتفاعه وضخامة بناءه (يبلغ ارتفاعها ٣١ متراً) .

وقد ولى الخليفة عمر الصحابى الجليل سلمان الفارسى أميراً على المدائن ، وقد مات سلمان فى المدائن ودفن فيها ، ولذلك يطلق على موضع المدائن حالياً اسم ناحية " سلمان باك " نسبة إلى المسجد الذى يضم مدفن الصحابى سلمان الفارسى ولا يزال قائماً حتى الآن .

وقد دفن على مقربة من الإيوان كل من الصحابيين حذيفة بن اليمان وعبد الله الأنصارى غير أن نهر دجلة فاض على القبرين فنقلت الحكومة العراقية رفاتهما عام ١٩٣١م إلى مسجد سلمان فاجتمعت قبور الصحابة الثلاثة فيه .



الأماكن التاريخية فى العراق

مدينة الكوفة :

استقر المقام بعدد كبير من المسلمين فى بلاد العراق ، وأقاموا فى المدائن عاصمة الفرس غير أن مناخها لم يناسبهم ، فأمرهم الخليفة عمر أن يرتحلوا عنها إلى موضع يقيمون فيه مدينة جديدة ينتقلون إليها ، وقد قام الصحابيان حذيفة بن اليمان وسلمان الفارسى باختيار الموضع المناسب لهذه المدينة الجديدة ، ويقال أن العرب كانوا يطلقون اسم كوفة على كل موضع به حصباء ورمل مختلطين ولذلك أطلقوا عليها اسم " الكوفة " لأن أرضها كانت كذلك .

وخط القائد سعد بن أبى وقاص تقسيم المدينة وشرع فى بناء مسجدها ودورها ، ولا يزال مسجد الكوفة وكذلك دار الإمارة إلى جانبه الذين بناهما سيدنا سعد قائمين حتى الآن .

ولقد انتقل المسلمون الذين اتخذوا من العراق مستقراً لهم إلى المدينة الجديدة ، وكان ذلك فى مستهل عام ١٧ هجرياً .

وقد صارت مدينة الكوفة هى عاصمة أرض العراق خلفاً للمدائن وإليها ينسب الخط الكوفى والمذهب الكوفى .

خلافة سيدنا على بن أبى طالب :

فى عهد الخليفة على بن أبى طالب كرم الله وجهه رابع الخلفاء الراشدين قام بنقل مقر الخلافة من المدينة إلى الكوفة وذلك عام ٣٦هجرياً –٦٥٧م .

وقد بنى في عهده المسجد الثانى بالكوفة بعد مسجد سعد ولا يزال هو الآخر قائماً حتى الآن .

وعلى أرض العراق خاض جيش الخلافة يقوده على بن أبى طالب معركتى الجمل وصفين ، أما معركة الجمل فكانت فى البصرة وأما

صفين فكانت فى موقع على الفرات بين الشـام والعراق .

وفى رمضـان عام ٤٠ هجـريا الموافق٦٦١ م اسـتـشـهـد الأمـام على رضي الله عنه عندما وثب عليه رجل من الخوارج يدعى عبد الرحمن بن ملجم وطعنه ، وقد دفن رضي الله عنه فى مدينة النجف العراقية وقبره إلى الآن وسط المدينة .

العراق فى ظل الدولة الأموية :

بعد استشهاد الأمام على تنازل الحسن بن على عن الخلافة لمعاوية وبايعه ، وبذلك قامت الدولة الأموية رسمياً .

وقد ظل معاوية فى الحكم قرابة عشرين عاماً (٤١ - ٦٠ هجرياً) ثم خلفه ابنه يزيد فرفض الحسين بيعته .

وانتهت الأحداث الدامية بأن استشهد الحسين وأهل بيته باستثناء ابنه على الملقب بزين العابدين فى مدينة "كربلاء" العراقية فى العاشر من المحرم ٦١ هجرياً .

وضريح الحسين حالياً يقع شرق كربلاء وهو مقام وسط صحن عظيم تتلألأ فوقه قبة مكسوة بالذهب وفى ركنيها مئذنتان مطليتان بالذهب أيضاً .

ولقد حكم الأمويون العراق بالشدة ، ومن أوضح الأدلة على ذلك ما فعله عبد الملك بن مروان الخليفة الأموى الخامس عندما عهد بالعراق وفارس إلى عامله الشهير الحجاج بن يوسف الثقفى .

الدولة العباسية فى العراق :

كان الشام هو مقر الخلافة الأموية ، وعندما سقطت الدولة الأموية وجاء العباسيون كان أنصارهم من أهل العراق ، فمالوا إليهم واختاروا أن يتخذوا من العراق مقراً لخلافتهم فانتقلت إليها إدارة الدولة

الإسلامية .

وقد بويع الخليفة العباسي الأول في مدينة " الكوفة " واعتبرها عاصمة إدارية للدولة عام ١٣٢هجرياً - ٧٤٩ م لكنه اتخذ من مدينة تسمى " الهاشمية " شرق الفرات عاصمة له ثم انتقل منها إلى مدينة " الأنبار " .

وعندما ولي بعده الخليفة العباسي الثاني أبو جعفر المنصور أراد أن يبني مدينة جديدة لتكون عاصمة للخلافة فاختار موضعاً قريباً من "المدائن " غرب نهر دجلة كانت فيه قرية صغيرة اسمها بغداد ويقال أنها لفظة فارسية بمعنى " عطية الله " .

وخط المنصور المدينة الجديدة لتكون عاصمة للخلافة ، وقد بدأ البناء فيها عام ١٤٥ هجرياً - ٧٦٢م على أرجح الأقوال ، واستعمل في بنائها بعضاً من الحجارة من مباني " المدائن " .

وقد أشترك الأمام أبو حنيفة النعمان [١] صاحب أول مذهب فقهي في تأسيس مدينة بغداد وكان واحداً من المشرفين الأساسيين على إنشاء المدينة ، ورغم أن المنصور أطلق على المدينة الجديدة اسم مدينة السلام إلا أن اسم بغداد ظل لصيقاً بها .

وقد صارت "بغداد" حاضرة الخلافة ومركز إشعاعها ، واجتمعت بها كل أدوات العلم والمعرفة والتقدم والمجد حتى حيزت لها الدنيا ، فمن أراد العلم توجه إليها ، ومن أراد الشعر قصدها ، ومن مال إلى العمارة لم يجد لها منافساً ، ومن أراد الجهاد والغزو انضم إلى جيشها المظفر . .

---

(١) ولد الأمام أبو حنيفة النعمان بالكوفة ومات ببغداد ودفن في حي الرصافة بها ، كما دفن ببغداد كذلك الامام احمد بن حنبل .

وظلت بغداد عاصمةً للخلافة طوال خمسمائة عام من عام ١٤٥هجرياً –٧٦٢ م إلى عام ٦٥٦هجرياً – ١٢٥٨م كانت خلالها محط أنظار الدنيا كلها باستثناء فترة امتدت خمسة وخمسين عاماً من عام ٢٢١ هجرياً ٨٢٦م إلى عام ٢٧٦هجرياً – ٨٨٩ م نقل خلالها الخليفة المعتصم العباسى العاصمة إلى مدينة " سامراء " .

ورغم توالى الممالك على العراق فقد ظلت " بغداد " هى العاصمة الرسمية للبلاد ، وهى إلى الآن أكبر مدن العراق سواء من حيث المساحة أو من حيث عدد السكان ، وحالياً يقدر عدد سكانها بحوالى أربعة ونصف مليون نسمة .

الدويلات فى ظل الخلافة العباسية وبداية الحكم الشيعى :

رغم أن الدولة العباسية ظلت هى دولة الخلافة ومقرها بغداد غير أن دولاً كثيرة تعاقبت على البلاد خلال فترة وجودها واستقلت عنها .

وقد نجحت ثلاث دول منها فى انتزاع أجزاء من العراق بسطت عليه سلطانها وهى الدولة الحمدانية – الدولة البويهية – دولة السلاجقة :

أولاً : الدولة الحمدانية

ضم الحمدانيون إليهم إمارة الموصل شمال العراق لمدة تصل إلى بضع وثمانين عاماً من عام ٢٩٣ هجرياً ٩٠٦ م إلى عام ٣٨٠ هجرياً –٩٩٠م حتى أخرجهم منها البويهيون فانحصر وجودهم على الشام .

ثانياً : الدولة البويهية

دام سلطان الدولة البويهية على العراق أكثر بقليل من مائة عام منذ أن دخلوها عام ٣٣٤هجرياً ٩٤٥م وحتى عام ٤٤٧ هجرياً ١٠٥٥ م .

وقد نجح البويهيون فى السيطرة على العراق بأكمله بما فيه بغداد عاصمة الخلافة ، كما تمكنوا من إنهاء وجود الدولة الحمدانية شمال

العراق عام ٣٨٠هجرياً ـ ٩٩٠م .

البويهيون والحكم الشيعى :

كان البويهيين من أصحاب المذهب الشيعى ، وبذلك يكون العراق قد عرف بداية وصول أصحاب المذهب الشيعى إلى الحكم من خلال الدولة البويهية .

ورغم أن البويهيين أبقوا على الخلافة العباسية السنية ، إذ أنهم أبقوا على الخليفة العباسى فى بغداد بصورة شكلية إلا أنهم عملوا على نشر الفكر الشيعى فى العراق ، وفى زمنهم ظهرت احتفالات الشيعة بشهداء كربلاء لأول مرة فى بغداد .

ثالثاً : دولة السلاجقة

نجح السلاجقة كذلك فى مد سلطانهم على العراق بأكمله، وساروا على نهج مشابه للبويهيين فى الإبقاء على الخليفة العباسى بصورة شكلية ، وظلوا منذ عام ٤٤٧ هجرياً ١٠٥٥ م وحتى عام ٥٩٠ هجرياً ١١٩٤م .

العراق والغزو الصليبى :

لم يكن سلطان السلاجقة قاصراً على العراق فقد نجحوا فى بسط سلطانهم حتى وصلوا إلى حدود الصين كما ضموا إليهم آسيا الصغرى ، وعندما وفدت أولى الحملات الصليبية على بلاد المشرق كان الصدام الأول لها بالسلاجقة .

وكانت دولة السلاجقة تمر بفترة ضعف وتمزق ، فما كان من الحملة الصليبية إلا أن اكتسحت قواتهم وتقدموا نحو بيت المقدس لكنهم لم يتوغلوا إلى داخل العراق .

جهاد آل زنكى :

تولى القائد عماد الدين زنكى –وهو من قادة السلاجقة – إمارة الموصل فى شمال العراق فنذر نفسه لقتال الصليبيين ، ومن الموصل خرج عماد الدين بجيوشه لينتزع نصراً وراء نصر من الصليبيين ، ثم ليحرر أول إمارة من الإمارات التى أسسها الصليبيون وهى إمارة " الرُها " على الأطراف الشمالية للعراق سنة ٥٣٩ هجرياً ١١٤٤م .

ومن بعد عماد الدين قام ابنه نور الدين محمود زنكى بمواصلة الجهاد ضد الصليبيين ، ولقد تربى فى خدمة نور الدين البطل صلاح الدين الأيوبى العراقى الكردى ابن مدينة تكريت الذى استلم الراية بعد وفاة أستاذه نور الدين .

وكان نور الدين تابعاً للخليفة العباسى من الناحية الشكلية ، وبعد وفاته ضم صلاح الدين إمارة نور الدين إلى مصر حيث قامت الدولة الأيوبية التى ظلت هى الأخرى تدين بالولاء الرسمى للخلافة العباسية فى بغداد .

المغول وسقوط الدولة العباسية :

تعرضت الدولة العباسية لهجوم جحافل المغول بقيادة القائد هولاكو ، وقد نجح المغول فى اجتياح بغداد عام ٦٥٦ من الهجرة الموافق لعام ١٢٥٨م ، وتعرضت البلاد للهدم والسلب ، أما بغداد فقد أنزل هولاكو بها الخراب والتدمير .

وبذلك سقطت الخلافة العباسية ، وحكم هولاكو العراق ضمن مملكته الواسعة .

ومن العجائب أن ابن هولاكو أسلم بعد ذلك وتبعه قومه ، وبذلك دخل المغول فى الإسلام . .

" وهكذا نرى الغالبين – بفضل الإسلام عقيدة ومدنية وحضارة – يدخلون فى دين المغلوبين ، وهى ظاهرة لم يعرف لها التاريخ نظيراً أو مثيلاً من قبل . " (تاريخ العالم الإسلامى – محمود شاكر ، د. إسماعيل ياغى) .

ولقد تعرضت العراق لغزو مغولى جديد على يد سلالة تيمور المغولية الذين دخلوا بغداد فخربوها للمرة الثانية على يد القائد " تيمور لنك " عام ١٣٩٣ م .

الدولة الصفوية :

تشتت شمل المغول وتجزأ العراق تحت حكم دول عديدة منهم ومن وقادتهم من التركمان والفرس .

وتوالت الدول حتى استطاع قائد قوى يدعى اسماعيل الصفوى أن يثبت ملكه ليقيم دولة عرفت باسم " الدولة الصفوية " عام ٩٠٧ هجرياً – ١٥٠٢ م .

وكان إسماعيل الصفوى من المتشددين فى المذهب الشيعى ، وقد استخدم الصفوى أساليب البطش والتنكيل لحمل الناس على المذهب الشيعى حتى اصطبغت به البلاد .

ولما كانت العراق تضم مزارات الشيعة الأساسية فى مدينتى النجف حيث قبر الأمام على وكربلاء حيث قبر الحسين وأهل بيته ، فقد حرصت الدولة الصفوية على مد سلطانها فى العراق .

وبذلك صارت العراق تابعة للدولة الصفوية ، وتبعت من جديد – بعد البوهيين – المذهب الشيعى .

الشيعة :

عقب مقتل الأمام على رضى الله عنه تجمعت طائفة فى العراق عرفت باسم " الشيعة " نسبة إلى تشيعهم للإمام على وآل بيته

ونصرتهم لهم ، وبذلك فإن العراق قد شهد ظهور الشيعة ومنشئهم .
والأساس فى فكر الشيعة أنهم يعتبرون الخلافة أو الإمامة ركن من الدين حددها النبى ﷺ وحصرها فى سيدنا على كرم الله وجهه ثم الأئمة من بعده من آل بيته .
ورغم أن الشيعة تفرقوا إلى عدد كبير من الفرق غير أن العمود الفقرى للمذهب الشيعى بكل الفرق هو نظرتهم إلى الإمامة من حيث كونها ركن من أركان الدين وأحقية سيدنا على والأئمة من ذريته من بعده .
فهم يعتبرون الإمامة منصب إلهى لا يترك للبشر تحديده ، والإمامة بذلك من أمور العقيدة التى لا يصح الدين بغيرها وليست من الفروع أو من الأمور الاجتهادية .
وأغلب جموع الشيعة فى العالم اليوم يتبعون " الشيعة الإمامية " وإن كانوا قد تفرقوا هم أنفسهم إلى عدة فرق كالإمامية الجعفرية والاثنى عشرية ، وشيعة العراق أغلبهم من الشيعة الإمامية .
وللشيعة فى العراق أربع مدن مقدسة هى النجف التى تضم قبر سيدنا على ، ومدينة كربلاء حيث قبر ابنه الحسين بالإضافة إلى كاظمين وسامراء .
أما كاظمين فهى تعتبر ضاحية من ضواحى بغداد وتضم ضريحين لاثنين من أئمة الشيعة ، وأما سامراء فتقع إلى شمال بغداد وبها كذلك ضريح لأحد الأئمة من الشيعة .
ومن الأقوال الشائعة فى كثير من المصادر أن الشيعة فى وقتنا الراهن يمثلون عشر عدد المسلمين وأن عددهم حوالى ١٢٠ مليون نسمة ، وهو تقدير تقريبى نظراً لصعوبة الدقة وبخاصة فيما يخص الأقليات .

الدولة العثمانية :

كانت الدولة العثمانية فى أوج قوتها فى القرن السادس عشر ، وتطايرت أخبار مفاوضات بين الدولة الصفوية والفرنجة للتحالف ضد المماليك للقضاء عليهم واقتسام أملاكهم بين الطرفين مما دفع العثمانيون للتدخل بجيوشهم للتصدى للصفويين .

وقد تمكن العثمانيون من هزيمة الصفويين في معركة حاسمة استطاعوا دخول العراق على إثرها عام ٩٢١ هجرياً - ١٥١٤ م غير أن الصفويين لم ييأسوا من استعادة العراق لتظل مزارات الشيعة الأساسية فيها تحت سيطرتهم ، فظلوا فى نزاع مع العثمانيين حتى نجحوا فى دخول بغداد بمساعدة بعض الشيعة العراقيين عام ٩٤٠ هجرياً - ١٥٣٣م .

لكن العثمانيين تمكنوا من استردادها منهم بعد عدة أشهر وبسطوا سلطانهم على كامل البلدان العراقية بعد أن تمكن السلطان العثمانى سليمان القانونى من هزيمة الصفويين ودخول بغداد عام ٩٤١ هجرياً - ١٥٣٣ م . وقد ظلت العراق تحت السيادة العثمانية من وقتها وحتى بدايات القرن العشرين .

أطماع بريطانية :

أولت بريطانيا العراق أهمية كبيرة منذ عدة قرون .." ويرجع اهتمام بريطانيا بالعراق والخليج العربى وتطلعها إلى السيطرة عليهما منذ القرن الحادى عشر الهجرى (السابع عشر الميلادى) وذلك لموقعهما الجغرافى وأهميته الإستراتيجية ، لوقوعه على طريق مواصلاتها عن طريق الهند درة التاج البريطانى .. "(تاريخ العالم الإسلامى - محمود شاكر ، د. إسماعيل ياغى) .

وكان لبريطانيا شركة تجارية هى شركة " الهند الشرقية البريطانية " كان لها السبق فى تثبيت أقدام بريطانيا فى العراق .. " أسست الشركة البريطانية الشهيرة " شركة الهند الشرقية " فى عام ١٦٤٣ م أول معمل لها فى البصرة وأقامت فيها أحد فروعها ، وفى الثلث الأخير من القرن الثامن عشر كانت المدينة قد أصبحت سوقاً تجارياً بريطانية نشيطة " (الموسوعة الجغرافية التاريخية – مسعود الخوند) .

وقد زاد تغلغل النفوذ البريطانى فى العراق سواء عن طريق الشركات التجارية أو الملاحية حتى أصبح الإنجليز يشرفون على الملاحة فى شط العرب وعلى عملية إرشاد السفن فيه .

آثار العراق :

لما كانت العراق صاحبة حضارات قديمة وأرضها تذخر بآثار دول وحضارات متتالية فقد قامت بريطانيا بإرسال العديد من البعثات للكشف عن آثار العراق وكذلك فعلت فرنسا ..

يقول د . أحمد أمين سليم أستاذ تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم :" أدى ذلك إلى وجود منافسة بين الإنجليز والفرنسيين لاستخراج الكنوز ، كان ذلك بمثابة أعمال اصطياد للثروة أكثر منه بحثاً علمياً عن الآثار .. " .

(تاريخ العراق ، إيران ، آسيا الصغرى _د . احمد أمين سليم) .

واستباحت فرق التنقيب عن الآثار أرض العراق فنهبوا الآثار ونقلوا كميات كبيرة منها إلى بلادهم ، ومتاحفهم المكدسة بالآثار إلى الآن تشهد على عمليات النهب واسعة النطاق على طول العراق وعرضها .

يقول د . أحمد أمين سليم :

" ولقد قامت هذه البعثات بنقل التراث الحضارى للعراق القديم إلى

متاحف باريس ولندن وبرلين وغيرها . . " .

(تاريخ العراق ، إيران ، آسيا الصغرى _د. أحمد أمين سليم) .

ورغم أن المتحف الأمريكى " متروبوليتان " الذى يقع فى نيويورك يضم نصباً وجدراناً بكاملها منتزعة من المدن العراقية القديمة مثل بابل ونينوى إلا أن الرئيس الأمريكى السابق بيل كلينتون خلال زيارته لمتحف " اللوفر" الفرنسى نُقل عنه أنه أبدى دهشته الشديدة من الكم الهائل من الآثار العراقية الموجودة بالمتحف .

يقول الأستاذ مسعود الخوند :

" كانت المنافسات ضارية بين المنقبين الإنجليز والفرنسيين فى نزع تماثيل الثيران المجسمة الآشورية ونقلها إلى متحف اللوفر الفرنسى والمتحف البريطانى . . واستمرت عمليات نهب الآثار العراقية ولم توقفها ولادة دولة العراق الحديث ولا حتى الاستقلال . . وقد يفسر تاريخ سرقة عشرات الآلاف من كنوز التراث الحضارى فى العراق لماذا لم تنضم إلى الآن الولايات المتحدة وبريطانيا إلى الاتفاقية الدولية الخاصة بتحريم استيراد ونقل وملكية الممتلكات الثقافية التى أقرتها منظمة الأمم المتحدة للثقافة والتربية والعلوم " الأونيسكو" عام ١٩٧٠ " (الموسوعة التاريخية الجغرافية ــ مسعود الخوند) .

وقد تضاعف اهتمام بريطانيا بالعراق عقب اكتشاف البترول فى أراضيه بوفرة ، فسعت جاهدة إلى وضع يدها على منابعه والسيطرة على شركات التنقيب عنه وتكريره . .

وعندما عقدت بريطانيا معاهدة سايكس بيكو مع فرنسا لتقسيم أملاك الدولة العثمانية كانت العراق من نصيبها .

الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ :

" اغتنمت بريطانيا فرصة الحرب العالمية الأولى ودخول تركيا الحرب إلى جانب ألمانيا فقامت بإرسال حملة بحرية لتحتل العراق بالقوة وتحقيق ما كان التجار والبحارة ، والسياسيون والخبراء قد مهدوا له ووضعوا أساسه خلال ثلاثة قرون .. "

(تاريخ العالم الإسلامي – محمود شاكر ، د. إسماعيل باغى) .

وكانت البصرة هي أول مدينة عراقية دخلتها الجيوش البريطانية للتحكم في بوابة العراق على الخليج ، ثم زحفت منها إلى باقي المدن حتى احتلت بغداد عام ١٩١٧ .

وأعلنت عصبة الأمم وضع بغداد تحت الانتداب البريطاني مثلما حدث مع مصر وفلسطين ، وبذلك صارت العراق قطعة من ممتلكات المملكة البريطانية التي كانوا يطلقون عليها اسم المملكة التي لا تغيب عن أملاكها الشمس .

الثورة العراقية ١٩٢٠ :

تعرف بثورة العشرين وفيها ثار الشعب العراقي ثورة عارمة ، وقاوم الثوار بصورة عنيفة .. " اجتاحت العراق ثورة واسعة ، وشرع الثوار يعدمون الضباط والجنود الإنجليز ويلصقون على جثثهم مذكرات تطالب بالاستقلال التام للعراق .. وفي مواجهة الثورة حشد الاحتلال أعداداً ضخمة من الجنود المجهزين بأحدث الأسلحة ، وقد زاد عددهم على ١٥٠ ألفاً .. " . (الموسوعة التاريخية الجغرافية – مسعود الخوند) .

ولكن الثورة رغم ذلك امتدت إلى ستة أشهر ، واضطرت بريطانيا إلى استخدام طائراتها لتقصف المدن الثائرة .

ولقد تكبدت بريطانيا من الخسائر ما جعلها تتراجع عن رغبتها في

ضم العراق إلى ممتلكاتها بصورة صريحة . ." وقد أظهرت هذه الثورة صعوبة استمرار الحكم البريطاني المباشر للعراق ، مما اضطر الإنجليز إلى إعادة النظر في سياستهم تجاه العراق ،وإن الخسائر البشرية والمادية التي منيت بها بريطانيا أثارت جدلاً عنيفاً في المجلس النيابي والصحافة الإنجليزية حتى طالب بعض السياسيين بانسحاب الحكومة من العراق . . " (تاريخ العالم الإسلامي - محمود شاكر ، إسماعيل ياغي) .

وبناء على ذلك فقد قامت الحكومة البريطانية بتأليف أول حكومة وطنية عراقية مؤقتة ، غير أنها عينت مستشاراً إنجليزياً بجانب كل وزير عراقي .

وأعلنت بريطانيا رغبتها في إقامة نظام ملكي للحكم العراقي ، ووقع اختيارها على الأمير فيصل بن الشريف حسين الهاشمي .

وقد كانت بريطانيا قد اتفقت مع فرنسا في معاهدة سايكس بيكو ١٩١٦ م على أن تكون سوريا ولبنان من نصيب فرنسا ، وعندما دخلت جيوش بريطانيا في أول الأمر إلى سوريا خلال الحرب العالمية الأولى ساندها الأمير فيصل بفصائل من العرب الموالين له ولأبيه فكافأته بريطانيا بأن أعطته حكم سوريا .

لكن الجيوش الفرنسية ما لبثت أن دخلت إلى سوريا بعد ذلك لتتسلم نصيبها حسب المعاهدة، وفر الأمير فيصل إلى لندن فأعادته بريطانيا إلى العراق ليتسلم الملك فيها بدلاً من سوريا .

وفي عام ١٩٢١م صار الملك فيصل بن الشريف حسين هو أول ملوك المملكة العراقية ، واستبدلت بريطانيا انتدابها على العراق بصورة معاهدة تحالف بين البلدين في أكتوبر ١٩٢٢م .

الاستقلال :

وفى عـام ١٩٣٢م أنهـت بريطانيـا انتـدابهـا على العـراق ، ونالت العراق استقلالها .

وقد انضـمت العراق عقب استـقلالهـا إلى عصبـة الأمم وهى بذلك تعد أول بلد عربى دخل عصبة الأمم .

وفى عام ١٩٣٣م توفى الملك فيصل وخلفه ابنه الملك غازى ، وفى عـام ١٩٣٩ م توفى الملك غـازى فى حـادث سـيارة وكـان ابنه فـيـصل الثانى فى الرابعة من عمره فقام خاله الأمير عبد الإله بالوصاية على العرش حتى تم تتويج الملك فيصل الثانى رسمياً فى عام ١٩٥٣م .

وقد شهد العراق خلال الفترة الملكية ثورة موالية لألمانيا ودول المحور بقـيـادة رئيس وزراء البـلاد رشـيـد عـالى الكـيـلانى عـام ١٩٤١ إلا إن بريطانيـا دخلت العـراق بقـواتهـا وتصـدت لهـا وأخـمـدتهـا ، وهرب الكيلانى وأنصاره .

حرب ١٩٤٨ :

شـارك العـراق فى حـرب ١٩٤٨ على أرض فلسطين بجـيـش يقـدر عدده بحوالى خمسة آلاف جندى .

وقد تمكن العراقيـون من السيطرة على المنطقة المحصورة بين مـدينة نابلس وجنين وطولكرم ، وهى منطقـة تسمى " المثلث " غيـر أن الحرب الهزلية توقفت وتقدم الصهاينة ليحتلوا المدن والقرى الفلسطينية وسط ذهول الشعوب العربية .

وبعـد أن توقفت المعـركة وبدأت المفـاوضـات السـيـاسـيـة انسـحب الجيش العراقى تاركاً مواقعه للجيش الأردنى .

وخلال شهور الحرب وما بعدها شـهد الشارع العراقى غلياناً ملحوظاً

وتكررت المظاهرات اعتراضا على السياسة التى تدار بها البلاد .

ثورة يوليو ١٩٥٨ :

عندما شنت كل من بريطانيا وفرنسا وإسرائيل الهجوم على مصر فيما عرف باسم " العدوان الثلاثى " عام ١٩٥٦ تطايرت الأخبار أن الطائرات البريطانية المقاتلة التى تهاجم مصر تنطلق من مطار الحبانية العراقى فى تواطأ بين بريطانيا والحكومة العراقية الموالية لها برئاسة "نورى السعيد " الذى ظلت الإذاعة المصرية وقتها تردد أنه خائن وحليف لإسرائيل .

وقد تسبب هذا الموقف من الحكومة العراقية فى هياج شديد للرأى العام العراقى حتى أن كثير من المحللين السياسيين يرجع ثورة العراق بالدرجة الأولى إلى هذا السبب .

وفى ١٤ يوليو ١٩٥٨ قامت ثورة عراقية عسكرية ، وهجم الثائرون على القصر الملكى فقتلوا الملك فيصل الثانى وولى العهد الأمير عبد الإله كما قتلوا رئيس الوزراء نورى السعيد وأعلنوا انتهاء الحكم الملكى وتكوين الجمهورية العراقية .

وتولى العسكريون الحكم بقيادة عبد الكريم قاسم كأول رئيس للجمهورية العراقية وعبد السلام عارف نائباً له غير أنه قام باستبعاده بعد عدة أشهر وحكم البلاد بصورة فردية .

وفى عام ١٩٦٣ قام عبد السلام عارف بانقلاب عسكرى جديد ووضع دستوراً جديداً للبلاد فى عام ١٩٦٤ .

وفى عام ١٩٦٦م قتل عبد السلام عارف فى حادث سقوط طائرة هليوكوبتر فتولى الرئاسة أخوه عبد الرحمن عارف .

وفى يوليو ١٩٦٨ قام حزب البعث الاشتراكى بانقلاب عسكرى

جـديد ، وتولى اللواء أحـمـد حسن البكر رئاسـة الجـمـهـورية ووضع دستور ١٩٦٨ المؤقت ، ثم دستور ١٩٧٠ .

وقـد ظل البكر فى الحكم حـتى تنازل عن رئاسـة الجـمـهـورية عـام ١٩٧٩ م وخلفه نائبه صدام حسين .

العراق - إيران وحرب الثمانى سنوات :

تكررت الحـوادث الحـدودية بين العـراق وإيـران منذ بدايـة عـام ١٩٧٩ ، وبين البلدين نزاع قديم ومـتكرر حـول رسم الحدود وحـول السـيـادة على شط العـرب وهو المجرى المائى المتكون من التـقـاء نهـرى دجلة والفرات .

وفى ٢٢ سبـتـمبـر عام ١٩٨٠ هاجـمت القـوات العـراقـيـة الأراضى الإيرانيـة معلنة أن هجومـهـا بغرض التصـدى لأطمـاع إيران فى الأراضى العـراقيـة ودول الخليج نظراً لقيـام إيران قـبل ذلك بالاسـتيـلاء على ثلاث جزر تخص دولة الإمارات (١) .

ولقـد اسـتـمـرت الحرب بين العـراق وإيران حـتى أغـسطس ١٩٨٨ عندما وافقت الدولتان على قرار الأمم المتحدة بوقف إطلاق النار وعلى عقـد محادثات سلام بينهـما وهى بذلك تعـد أطول الحـروب الحـديثة وتعرف باسم "حرب الخليج الأولى" (٢) .

وقد قدر عدد ضحايا المعركة بحوالى مليون قـتيل ، أما الخسـارة المادية فيصعب حصرها غير أن الأمر المؤكد أنها تدخل فى نطاق الأرقام الفلكية .. وكان حصاد المعركة هو الخسارة الفادحة لكل الأطراف .

لكن الثـابت أن هناك أطرافاً أخرى قـد اسـتـفـادت من هذه المعـركـة

(١) الجزر هى طنب الكبرى وطنب الصغرى التابعتان لإمارة رأس الخيمة وجزيرة أبو موسى التابعة لإمارة الشارقة .

(٢) الحرب العالمية الثانية استغرقت أقل من خمس سنوات .

التى أهدرت القوة العسكرية لأكبر دولتين عسكرياً فى المنطقة واستنزفت ثرواتهما ، فقد أكدت التحليلات السياسية أن الولايات المتحدة لم تشأ التدخل لوقف المعركة رغبة منها فى إطالة الوقت لتحقيق مزيد من الخسائر للطرفين معاً .

أما إسرائيل فقد استغلت ظروف هذه الحرب . . ففى ٧ يونيو ١٩٨١أى بعد أقل من عام من بدء الحرب قامت الطائرات الإسرائيلية بضرب مفاعل نووى عراقي بالقرب من بغداد ، ثم فى بداية شهر يونيو ١٩٨٢ قامت بضربتها الكبرى باجتياح الجنوب اللبنانى .

الكويت والغزو العراقى " حرب الخليج الثانية " :

أعلن العراق عند قيامه بالحرب ضد إيران أنها حرب لحماية الخليج ودول الخليج كلها من أطماع إيران وليست حرباً تخص العراق فقط ، وبمعنى آخر اعتبر العراق أنه كان يخوض الحرب نيابة عن الدول الخليجية ، وعلى ذلك فقد ساندت دول الخليج العراق أثناء الحرب بمبالغ كبيرة على سبيل القرض ، وعندما انتهت الحرب العراقية الإيرانية طالبت دول الخليج العراق بتسديد الديون فى الوقت الذى يعانى فيه العراق من أزمة اقتصادية فى أعقاب حرب طاحنة استنزفت موارده . .

" قدرت الأضرار المادية المباشرة بحوالى ٣٥ مليار دولار وفقاً للأرقام غير الرسمية علاوة على ما فقده العراق من إيرادات نفطية قدرت بنحو ١٥ مليار دولار ، ومع هذا فإن إجمالى الخسائر كان أعلى كثيراً حيث أن الحرب كانت تكلف العراق ما بين ٦٠٠ و ١٠٠٠مليون دولار شهرياً ، علاوة على استنزاف ٣٥ مليار دولار كانت فى حوزة العراق عند بداية الحرب . . " (الصناعة العسكرية العربية – د. يزيد صايغ) .

وقد قدمت الحكومة العراقية مذكرة إلى جامعة الدول العربية بتاريخ

١٥ يوليو ١٩٩٠ على سبيل الشكوى من الكويت والإمارات .

ومعظم الكتب التى تناولت عدوان العراق على الكويت لا بد وأن تورد نص هذه المذكرة التى تعبر عن وجهة النظر العراقية التى أدت فى النهاية إلى الهجوم العراقى على الكويت .

وفحوى المذكرة أن العراق يتهم كل من الكويت والإمارات بأنهما تسببتا فى تدهور أسعار البترول نظراً لقيامهما بإنتاج كميات من البترول خارج حصتهما المقررة فى الأوبك وإغراق السوق بغرض الإضرار بالاقتصاد العراقى .

كما يتهم الكويت تحديداً بأنها استغلت فرصة انخفاض إنتاج النفط العراقى بسبب الحرب لزيادة إنتاجها وأرباحها من تصدير النفط كما أنها فى غمرة انشغال العراق فى الحرب قامت بسحب كميات كبيرة من النفط من بئر " الرميلة " من الجزء الخاص بالعراق ، وبئر الرميلة هو بئر مشترك بين البلدين تقطعه خطوط الحدود ، وأن الكويت بذلك تكون قد تسببت فى خسارة مضاعفة للعراق . .

وفي ٢ أغسطس ١٩٩٠ قامت القوات العراقية بغزو الكويت معلنة أن للعراق فى الكويت حقاً تاريخياً وشرعياً ، ثم أعلنت أنها المحافظة العراقية رقم ١٩ .

ولم تكن هذه هى المرة الأولى للعراق الذى يطالب فيه بضم الكويت إليه فقد تكرر هذا الأمر قبل ذلك عدة مرات منذ قيام المملكة فى العراق على يد الملك فيصل كان آخرها عام ١٩٦١ عندما أعلن عبد الكريم قاسم ضم الكويت إلى العراق .

وتوالت الاستنكارات والتنديد بالعدوان العراقى من كل الجهات . . وأصدر مجلس الأمن قراره بإدانة غزو الكويت وضرورة الانسحاب

الفوری لقوات العراق .. ثم توالت قرارات المجلس حتى وصلت إلى ستة عشر قراراً خلال ١٤ شهراً فی الفترة من ٢ أغسطس ١٩٩٠ وحتى دیسمبر ١٩٩١ .

عملية درع الصحراء :

هرب الأمير جابر أمير الكويت وولى العهد وعدة آلاف من أهل الكويت إلى السعودية ، وتحسباً لأى هجوم عراقى على السعودية طالبت السعودية الأمم المتحدة بإرسال قوات دولية لحمايتها ، وبالفعل تشكلت قوات دولية برئاسة الولايات المتحدة فيما أُطلق عليه " قوات التحالف الدولى " رغم تناثر الأقوال بأن الولايات المتحدة بطريقة أو بأخرى هى التى أعطت الضوء الأخضر للعراق كى يدخل الكويت بقواته .

وفى غضون أيام قليلة من بداية الغزو العراقى كانت الولايات المتحدة قد قامت بعملية حشد وتعبئة لقواتها البحرية فى منطقة الخليج .

وفى ٨ أغسطس ١٩٩٠ تحرك خمسة آلاف جندى من القوات الخاصة الأمريكية فى طريقهم إلى السعودية بالإضافة إلى أسراب من الطائرات المقاتلة .

وفى التاسع من أغسطس ١٩٩٠ عُقدت قمة عربية طارئة فى القاهرة استغرقت يومين وأدانت الغزو العراقى بأغلبية الأصوات وقررت إرسال قوات عسكرية للدفاع عن السعودية ودول الخليج ضد أى عدوان عراقى .

بينما تحفظت كل من فلسطين والأردن وليبيا على قرار الإدانة من منطلق رفض التدخل الأجنبى فى المنطقة ، وامتنعت اليمن عن

التصويت لرفضها للغزو العراقى وللتدخل الأجنبى معاً .

وتنفيذاً للقرار أعلنت كل من مصر وسوريا والمغرب إرسال قوات عسكرية إلى السعودية ، وفى اليوم التالى للقمة تحركت طلائع القوات المصرية لتصل إلى الأراضى السعودية بقيادة اللواء محمد على بلال فيما عُرف باسم "حرب حماية المقدسات " أو " درع الصحراء " ، وقد صرحت السلطات المصرية أن القوات المصرية مهمتها الدفاع عن السعودية ، وعلى ذلك فلن تشارك فى أى عمليات عسكرية داخل العراق وأنها لن تدخل العراق حتى ضمن قوات السلام . وقد قدرت القوات المصرية المشاركة فى المعركة بحوالى ٣٥ ألف جندى .

وفى ٧ سبتمبر ١٩٩٠ أى بعد شهر من بدء تدفق القوات الأمريكية على السعودية صرح وزير الدفاع الأمريكى أن القوات الأمريكية بلغ عددها ١٠٠ ألف جندى وعقب عشرة أيام من هذا التصريح أعلن أن القوات بلغ عددها ١٥٠ ألف ..

وهكذا أخذت الحشود تتضاعف أعدادها .. وذكرت بعض المصادر أن عدد القوات الأميريكية وصل أقصاه خلال ستة أشهر (٣٧٠ ألف جندى) .

عملية عاصفة الصحراء :

وقرر مجلس الأمن أن على العراق أن تنسحب من الكويت فى موعد أقصاه ١٥ يناير ١٩٩١ ، وفى يوم ١٦ يناير وبعد " ١٩ ساعة " فقط من نهاية المهلة قامت قوات التحالف الدولى بقيادة الولايات المتحدة بشن هجوم بالصواريخ على العراق فى حربها لتحرير الكويت أو " عاصفة الصحراء " .

وفى اليوم الأول للهجمة أعلن الجنرال الأمريكى " نورمان

شوارتسكوف " قائد عملية "عاصفة الصحراء " أن قوات التحالف نفذت خلال اليوم الأول للهجوم ١٢٠٠ مهمة جوية فى العراق .

وفى منتصف فبراير أعلنت العراق قبولها لقرار مجلس الأمن بالانسحاب إلا أن الرئيس الأمريكى أعلن أنها خدعة وأن القتال سيستمر .

وفى ٢٤ فبراير ١٩٩١ أعلن الجنرال شوارتسكوف عن بدء الهجوم البرى .

وفى المقابل بدأت القوات العراقية فى الانسحاب فعلياً من الكويت لكن القصف لم يتوقف وقصفت طائرات التحالف وحدات عراقية وهى فى طريقها للانسحاب مما أسفر عن سقوط عدد كبير من القتلى .

وفى ٢٧ فبراير ١٩٩١ أعلن الرئيس الأمريكى للعالم فى خطاب قصير على شاشات التليفزيون انتهاء المعركة قائلاً :

" لقد تحررت الكويت ، إن جيش العراق قد هُزم وأهدافنا العسكرية قد تحققت وصارت الكويت ملكاً للكويتيين . . "(نقلاً عن وثائق حرب الخليج - سفيان بن حميدة) .

وبذلك انتهت "عاصفة الصحراء " التى أطلق عليها البعض اسم حرب الـ٤٣ يوماً . لكن الحشود الأمريكية الفاتحة التى تكبدت المشاق لكى تحقق الأمن والسلام ولتعيد الكويت للكويتيين لم تنصرف بعد أن حررت الكويت . .

فقبل هذا التاريخ لم تكن للولايات المتحدة "قواعد عسكرية" فى المنطقة وأقصى ماكانت تحصل عليه هى "التسهيلات العسكرية" المؤقتة أو المحدودة ، وكانت هذه التسهيلات هى الشكل الرئيسى للوجود العسكري الأميركي في الشرق الأوسط لكنها ومنذ هذا

التاريخ صار لها عدد من القواعد وليست قاعدة واحدة ..

فقد صار لها خمس قواعد فى دول الخليج وحدها بالإضافة إلى قواعدها فى تركيا والمنطقة المحيطة فى الخليج والبحر المتوسط .. مما يشكل طوقاً أمريكيا حول المنطقة ، كما أن فاتورة هذه القواعد لا تتكفل بها وإنما البلاد المضيفة هى التى تدفع الفاتورة كاملة ..

خلاصة القول أن القوات الأمريكية إنما جاءت لتبقى .. تبقى إلى جوار الثروة السوداء .



بترول العراق

تم اكتشاف البترول منذ القدم فى البلاد العربية ،وفى العراق كان الفلاحون يلاحظون سائلاً أسود اللون يلوث أراضيهم الزراعية وقد عرفوا استعماله كوقود ، أما فى مصر فقد استخدمه الفراعنة فى التحنيط .

لكن البترول العربى لم يثر اهتمام العالم الحديث إلا فى نهاية القرن التاسع عشر ، وكان العراق هو أول بلد استرعى وجود البترول فيه أنظارهم .

وفى عام ١٨٧١ م وصلت إلى العراق أول بعثة ألمانية للبحث عن البترول ، وقد اكتشفوا وجوده بوفرة .

ثم توالت البعثات للبحث والتنقيب حتى وصلت إلى العراق بعثة جيولوجية ألمانية عام ١٩٠٧ ..

يقول عنها الأستاذ محمد جواد العبوسى :

" وقررت بعد الفحوص التى أجرتها على أرضه بأن العراق يعوم على بحيرة من البترول .. " (البترول فى البلاد العربية – محمد جواد العبوسى) .

وقد بادرت ألمانيا بالتعاقد مع الدولة العثمانية لتضع يدها على بترول العراق ، وجاء التعاقد على صورة مشروع مد الخطوط الحديدية فيها ، وهو ما عُرف باسم خط برلين – بغداد .

" منحت الدولة العثمانية أول امتياز لمد الخطوط الحديدية فيها إلى شركة ألمانية كونها البنك الألمانى .. وأكدت الحكومة العثمانية وعدها بإعطاء الأولوية لهذا البنك لاستثمار البترول والمناجم الأخرى فى ولايتى الموصل وبغداد .. " (البترول فى البلاد العربية – محمد جواد العبوسى) .

ثم نجحت ألمانيا فى فى الحصول على صفقة أخرى عندما حصلت على امتياز البحث عن البترول فى المناطق الواقعة على جانبى السكة الحديد لمسافة عشرين كم فى الولايتين بشروط معينة .

وفى هذه الأثناء كانت بريطانيا تحاول الحصول من ناحية على مدخل لتنفذ منه إلى هذه الثروة ، ومن ناحية أخرى كانت تسعى لعرقلة الاتفاق الألمانى مع الدولة العثمانية .

وقد نجحت بريطانيا فى تأسيس " البنك التركى " برأس مال إنجليزى عام ١٩١٠ م ، وبعد عام واحد قام البنك بتكوين شركة للبترول بالاتفاق مع الألمان وأطلقوا عليها اسم " شركة البترول التركية " التى حصلت على امتياز البحث عن البترول ليس فقط فى العراق وإنما فى كامل ممتلكات الدولة العثمانية .

وكان لبريطانيا ثلاثة أرباع أسهم الشركة بينما كان نصيب ألمانيا الربع فقط .

وعندما اندلعت الحرب العالمية الأولى استعرت المعركة بين ألمانيا وبين دول الحلفاء ، ونجحت بريطانيا فى الاستيلاء على العراق والشام .

وبانتهاء المعركة وهزيمة ألمانيا استبعدت من مشروعات البترول العربى ، وبذلك انفردت بريطانيا وحدها بالثروة السوداء .

وأثارت فرنسا خلافاً مع بريطانيا على رسم الحدود بين سوريا والعراق فعقدت بريطانيا معها تسوية فى مقابل أن تحصل فرنسا على حصة ألمانيا فى البترول العراقى (الربع) نظير مرور أنابيب النفط العراقى فى طريقها إلى البحر المتوسط عبر الأراضى السورية واللبنانية التى تسيطر فرنسا على كل منهما .

ثم بدأت الولايات المتحدة فى المطالبة بحقها فى الثروة المنهوبة ،

ففى عام ١٩١٩ طالبت الشركات الأمريكية بحق البحث عن البترول فى العراق وفلسطين لكن بريطانيا رفضت بشدة وتصدت لهم ، وضاعفت الولايات المتحدة من ضغطها ..

" واضطرت بريطانيا إلى التراجع تجاه الضغط الأمريكى الشديد ، وفى عام ١٩٢٢ تم الاتفاق بين الشركة الإنجليزية وشركة نيو جرسى الأمريكية على فتح باب المفاوضات .. وفى النهاية دخلت الشركات الأمريكية مساهمة فى بترول العراق بنسبة ٢٣,٧٥ ٪ .. " (البترول فى البلاد العربية – محمد جواد العبوسى) .

وكانت كل هذه المفاوضات تجرى حول أحقية البحث والتنقيب ولم يكن قد تم البدء بحفر الآبار بالفعل ، وفى عام ١٩٢٧ تم حفر أول بئر بترول فى العالم العربى كله فى مدينة كركوك العراقية .

وعندما تم حفر الدفعة الأولى من الآبار للمرة الأولى اندفع السائل الأسود إلى الخارج من أحد الآبار متدفقاً بكميات هائلة لم تعهدها هذه الشركات من قبل حتى قيل أن اكتشاف هذا البئر قام بتغيير تاريخ البترول تماماً ..

" وقد بلغت شدة اندفاع البترول حداً استمر عنده البترول بالتدفق بشدة لمدة أسبوع كامل قبل أن تتمكن الشركة من السيطرة عليه بمعدات جلبت على جناح السرعة من لندن .. " (البترول فى البلاد العربية – محمد جواد العبوسى) .

وكانت هذه هى البداية .. وقد حاول الملك فيصل – ملك العراق الأول – إعادة النظر فى الامتيازات الممنوحة لهذه الشركات الأجنبية لكن الإنجليز تصدوا له بشراسة ، وبذلك ظل العراق يتقاضى نسبة مئوية من عوائد النفط المستخرج من أرضه لا تتجاوز ٢,٥ ٪ من

مجموع ما تخرجه الآبار .

وفى الأول من يونيو عام ١٩٧٢ أعلن الرئيس العراقى أحمد حسن البكر تأميم شركة النفط . .

بترول الشرق الأوسط :

ظلت الولايات المتحدة وكذلك دول الغرب يولون بترول العراق والعالم العربى كله اهتماما كبيراً ولهم مبررهم فى ذلك ، فرغم وجود البترول فى بلادهم بكميات غير قليلة غير أن الحقيقة التى لا ينتبه إليها الكثيرون أن البترول لا تهم فيه الكمية فقط وإنما هناك عوامل كثيرة تتدخل فى قيمته .

وقد نجد صعوبة فى فهم معايير العلماء و مصطلحات المتخصصين فى هذا الشأن ، لكن الأمر يمكن فهمه ببساطة ، فمن الممكن أن تكون كمية البترول متساوية فى موضعين مختلفين ، لكن أحدهما تتواجد فيه الكمية فى بئر واحد بتكاليف حفر محددة ، والثانى تتواجد فيه نفس الكمية ولكن من عدة آبار مما يضاعف تكاليف الحفر .

وكذلك فإن قرب البئر أو بعده عن سطح الأرض يحدد تكاليف الحفر ، كما أن مدى جودة البترول الخارج من البئر ودرجة خلوه من الشوائب تحدد قيمته . . وهكذا وكلها عومل تتحكم فى نفقات رأس المال اللازم لإنتاج البترول أو فى جودة خام البترول .

وعلى ذلك فكثرة عدد الآبار ميزة ، وقلة عمق هذه الآبار ميزة أخرى ، وارتفاع إنتاج البئر ميزة ثالثة ، وجودة البترول الخارج ميزة رابعة . . فإذا اجتمعت كل هذه المزايا فى موضع ما صارت قيمة البترول فيه مضاعفة لعدة مرات .

وبالنظـر إلى موقـع البترول العربى من هـذه المواصفات ومقارنته بالبترول فى المواضـع الأخرى نعرف المبرر وراء اهتمام الآخرين بنـا .

وقد ذكر د. سـيد فتحى أحمـد الخولى فى كتابه " اقتصاد النفط " فى إحصائية لحساب تكاليف إنتاج الزيت الخام فى الولايات المتحدة مقارنة بمثيله من الشرق الأوسط لعام ١٩٨٥ أن إنتاج البرميل الواحد فى الولايات المتحدة لا تقل تكلفة إنتاجه فى الحد الأدنى عن ٨ دولار بينما قد تصل فى حدها الأقصى إلى ٢٤ دولار ، أما فى الحد الأقصى لتكلفة مثيله فى الشرق الأوسط لا تتجاوز ٤ دولار بينما الحد الأدنـى يصل إلى أقل من دولارين فقط !!

ومن المعروف أن ارتفاع تكلفة إنتاج البترول فى الولايات المتحدة أحد الأسباب التى تدفع إلى استيراده من الخارج .

يقول د. سيد فتحى أحمد :

" ويلاحظ تميـز نفط الشرق الأوسط بانخـفـاض تكاليف الإنتـاج بالرغم من الإنفاق الاستثماري فى مرحلتى البحث والتنقيب .. إلا إن ضخامة الكميات المنتجة والاحتياطيات تؤدى إلى انخفاض متوسط التكاليف الثابتة .. " (اقتصاد النفط – د. سيد فتحى احمد) .

أما عن العراق تحديداً فمن المثير أن نعلم أن العراق تقع على قمة مناطق الإنتـاج الوفيـر فى العـالم ، ولقـد بدأ الإنتـاج بحـوالى ٢٠٠٠ برميل يوميـاً ثم ارتفع إلى حوالى ٩٠ ألـف برميل يومياً فى منتصف الثلاثينات ، ووصل إلى ٧٠٠ ألف برميل فى الخمسـينات ، ثم بلغ مليون برميل يومياً عام ١٩٦٠ ، وفى عام ١٩٧٠ كان الإنتاج قد وصل إلى مليون ونصف مليون برميل يوميـاً . (نقلاً عن كتاب همـوم النفط وقضايا التنمية فى الخليج العربى – د. على خليفة الكوارى) .

يقول الأستاذ عبد الوهاب السلوم فى أواخر الستينات :

" إن الآبار المنتجة فى العراق تبلغ ١٦٠ بئراً كلها متدفقة تلقائياً لا تحتاج إلى مضخات مما يوفر الكثير من المصاريف والأجور . ". (قضية البترول العراقى - عبد الوهاب السلوم) .

وقد وصل الإنتاج إلى ذروته فى عام ١٩٨٠ قبيل الحرب العراقية الإيرانية فبلغ ٣ملايين و٦٠٠ ألف برميل يومياً . نقلاً عن مذكرة العراق المقدمة إلى مجلس جامعة الدول العربية بتاريخ ١٥ يوليو ١٩٩٠ .

وتعتبر إحصاءات ١٩٨٠ هى الأخيرة نظراً لامتناع العراق منذ بداية الحرب مع إيران عن نشر أى إحصاءات تتعلق بالناتج القومى وغيره من المعلومات .

ومن الحقائق المثيرة التى يجب أن نعى مدلولها أن تقدير علماء الجيولوجيا لنسبة الاحتياطى إلى الإنتاج وهو ما يسمى العمر الزمنى للاحتياطيات لعام ١٩٩١ فى العراق أكثر من مائة عام ، بمعنى أن العراق لو استمر ينتج من البترول ما أنتجه عام ١٩٩١ سيكفيه الاحتياطى أكثر من مائة عام قادمة بينما تحتل الولايات المتحدة المرتبة الثانية والعشرين (حوالى عشر سنوات فقط)[1] .

ثروات العراق :

يحتل العراق المركز الثانى بعد المملكة العربية السعودية فى احتياطى النفط فى العالم ، وكذلك يحتل المركز العاشر فى احتياطى الغاز الطبيعى .

---

(١) تحتل ثلاث دول عربية بخلاف العراق نفس المرتبة وهى السعودية والكويت وأبو ظبى (نقلاً عن كتاب اقتصاد النفط- د. سيد فتحى أحمد الخولى) .

سكان العراق

كما ذكرنا أن العرب يمثلون غالبية سكان العراق (من ٧٥ إلى ٨٠ ٪) ، بينما يشكل الأكراد من ١٥ إلى ٢٠ ٪ من إجمالى عدد السكان .

ويعتبر التركمان هم القومية الثالثة بعد العرب والأكراد .

أما من حيث الديانة فيشكل المسلمون ٩٧٪ من السكان : الشيعة يمثلون من ٦٠ إلى ٦٥٪ ، بينما السنة من ٣٢ إلى ٣٧٪ .

وتتميز العراق بكثرة عدد الأقليات سواء من حيث القومية مثل الآشوريين والإيرانيين أو من حيث المعتقدات مثل طوائف البهائية والصابئة وغيرهم .

الأكراد :

هناك حقيقة يجب أن ندركها ولا نتهرب منها وهى أننا منشغلين بأنفسنا بقدر كبير ولا نهتم بالآخرين من حولنا بالقدر الكافى ، لذا فنحن حقيقة لا نكاد نعرف شيئاً عن غيرنا .

فكم منا سمع شيئاً عن أناس اسمهم الأكراد ؟ لقد سألت مرة عن كتاب عن الأكراد فظن من سمعنى أنى أسأل عن كتاب طبى !!

والمأساة أن هؤلاء الأكراد مسلمين مثلنا ويعيشون فى دول إسلامية ولهم مشكلة ذات جذور قديمة ، غير أننا لا نكاد نسمع عنهم فلا نحن نعرفهم ولا نعرف أن لهم مشكلة .

والأكراد ليسوا عرباً وإنما هم – حسب أغلب الأقوال – من سلالة أخرى ، فعلماء السلالات البشرية ينظرون إلى العرب على أنهم أحفاد

الساميين من جنس البحر المتوسط أما الأكراد فهم يعتبرونهم أقرب إلى الجنس الآرى .

ويقال أن لفظة "كرد " معناها بالفارسية البطل أو المحارب الشجاع .

موطن الأكراد :

منذ القدم وقبل دخول الإسلام إلى بلاد العراق والأكراد يعيشون فى منطقة واسعة تحيط بها الجبال ، ولقد أستمد الإقليم الذى استوطنوه اسمه من اسمهم فعُرف باسم " كردستان " .

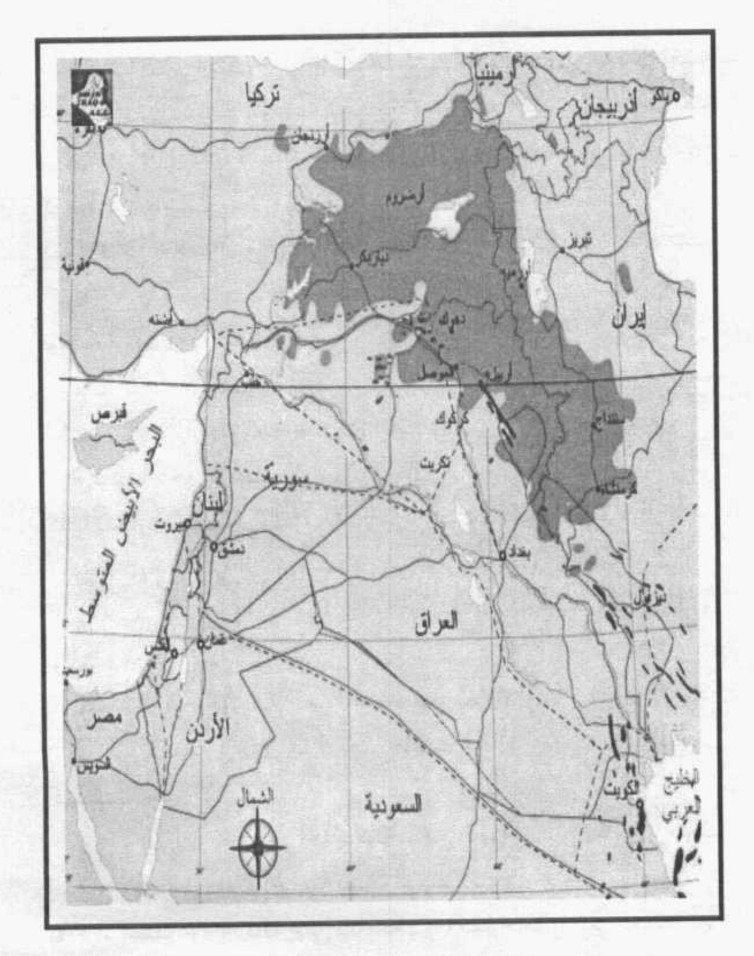
وإقليم كردستان هو إقليم فسيح عبارة عن هضبة شاسعة محاطة بالموانع الطبيعية من السلاسل الجبلية .

ويذكر الأستاذ نبيل زكى أن مساحة إقليم كردستان تتراوح بين ٤٠٩ ألف كم مربع و ٤٥٠ ألف كم مربع ، أى أن مساحته تساوى مساحة العراق تقريباً .

(الأكراد الأساطير والثورات والحروب – نبيل زكى) .

ولقد فرض الإقليم الكردى ذو الطبيعة الوعرة مهنة الرعى على ساكنيه من الأكراد أكثر من أى حرفة أخرى ، كما أن الأنهار المنتشرة فى الإقليم سهلت مهنة الزراعة وعلى ذلك فقد عرف الأكراد الرعى والزراعة منذ القدم .

كما أنهم بارعون فى صناعة السجاجيد الفاخرة التى تشتهر بها البيوت الكردستانية بالإضافة إلى بعض الصناعات اليدوية مثل الصناعات الجلدية الأقمشة الصوفية والقطنية والصابون المصنوع من زيت الفستق .



خريطة أماكن الأكراد (اقليم كردستان)

اللغة الكردية :

وكما عاش الأكراد فى إقليم انتسب إليهم فلهم كذلك لغة خاصة تنسب إليهم وهى " الكردية " وهى تعرف كذلك باسم لغة " البهلوان " أى لغة الأبطال المحاربين وقد ذكر الأستاذ أحمد تاج الدين أن الكردية تكتب بثلاثة أبجديات نظراً لانقسام الإقليم بين مختلف الدول فأكراد العراق وإيران يكتبونها بالأحرف العربية بينما يكتب أكراد سوريا وتركيا بالأحرف اللاتينية أما الأكراد فى روسيا وأرمينيا فيستخدمون أحرفاً قديمة تسمى " السيريلية " .

وقد ذكر كذلك أن المفردات العربية تشكل ثلاثة أرباع اللغة الكردية . (الأكراد تاريخ شعب وقضية وطن – أحمد تاج الدين) .

وعندما دخل الإسلام إلى بلاد العراق كان عربها وثنيين ومنهم من كانوا نصارى يسمون بالعرب المتنصرة ، بينما كانت ديانة الأكراد هى " الزرادشتية " نسبة إلى زرادشت وهى المعروفة باسم المجوسية .

والعيد القومى الخاص بالديانة الزرادشتية هو عيد النوروز الذى يوافق ٢١ مارس من كل عام .

وسرعان ما دخل أهل العراق سواء من العرب أو الأكراد فى الإسلام (من الغريب أنه لا يزال هناك بضع مئات ممن يدينون بالزرادشتية فى كردستان حتى الآن) .

ورغم أن التاريخ يزخر بعدد ضخم من الأقوام الذين عاشوا زمناً ثم اندثروا وذابوا فى الأمم المحيطة بهم ولم يبق منهم سوى اسمهم إلا إن الأكراد استطاعوا المحافظة على نقاء دمهم ،كما حافظوا على لغتهم .

وكما يقول د. وليد حمدى :

" وبالرغم من الحروب والغزوات المستمرة عبر قرون عديدة تمكن

الأكراد من الحفاظ على قوميتهم وشبه استقلاليتهم بشكل متميز عن القوميات الأخرى المحيطة بهم .. "(الكرد وكردستان فى الوثائق البريطانية - د. وليد حمدى) .

ولقد عرف التاريخ أسماء علماء وقادة كثيرين من الأكراد ، وعلى قمتهم القائد صلاح الدين الأيوبى القائد الكردى .

وأكراد العراق يتبعون مذهب أهل السنة ، وإن كان حوالى ثلث أكراد تركيا من الشيعة وكذلك أعداد من أكراد إيران .

إقليم كردستان على مر العصور :

منذ الفتوح الإسلامية والإقليم الكردى داخل نطاق الدولة الإسلامية ، وعقب اجتياح المغول للدولة العباسية استولى عليه المغول وتوالت عليه الممالك وإن ظلت قبائلهم شبه مستقلة أغلب الأوقات .

وفى الصراع بين الدولة العثمانية والصفويين فى القرن السادس عشر الميلادى مال الأكراد إلى الأتراك ..

يقول د.وليد حمدى :"بادر السلطان العثمانى سليم الأول عام ١٥١٤ إلى قيادة حملة ضد الفرس الشيعة تحت حكم الشاه إسماعيل الصفوى إخضاعهم لحكمه ، وكان طريق الحملة يمر عبر الأراضى التى تسكنها القبائل الكردية القوية شبه المستقلة .. فانحازوا إلى الطرف التركى . "(الكرد وكردستان فى الوثائق البريطانية - د. وليد حمدى) .

ونظراً للمساعدة التى قدمها الأكراد للعثمانيين فقد وقعوا معاهدة للصداقة والتحالف مع ثلاثة وعشرين من زعماء الأكراد .

وبدخول العثمانيين إلى العراق انقسم الإقليم الكردى بين الدولة العثمانية والدولة الصفوية فى إيران وإن ظل أغلب الإقليم تابعاً للدولة العثمانية .

وبسقوط الدولة العثمانية انقسم الإقليم الكردى بين كل من العراق وتركيا وإيران مع بعض الامتداد فى سوريا والاتحاد السوفيتى .

ورغم أن أقليم كردستان لم يكن أبداً دولة واحدة ، وخطوط الحدود تمزقه إلى عدة أجزاء إلا أن الأكراد لم يعترفوا قط بهذه الحدود ، فهم يتنقلون من بلد إلى آخر مما يشكل تعقيدات مستمرة على الحدود بين هذه الدول .

ولقد تعرض الأكراد إلى محاولات الإذابة فى كل دولة من الدول الأربع فيما يعرف بسياسة "الإدماج الإجبارى" فمنعوا من التعامل باللغة الكردية وفرضت عليهم لغة الدولة التى يتبعونها .

ففى إيران فرضت عليهم اللغة الفارسية ضمن ما عُرف بسياسة " التفريس" ، وفى تركيا أُلزموا بالتركية ضمن سياسة التتريك .. وهكذا .

وثار الأكراد هنا وهناك وتكررت ثوراتهم وتعددت حتى صار مجرد ذكر اسم كردى ترادف لفظ الثائر ، وصارت جموعهم تثير ظلالاً من الاضطراب أينما حلوا .

تعداد الأكراد :

يمثل الأكراد أقلية سكانية فى كل الدول التى يعيشون فيها ، وعلى ذلك فتعدادهم هو عبارة عن مجموع تعدادهم فى هذه الدول .

غير أنه من المعروف أن تعداد الأقليات فى الدول غالباً لا يتصف بالدقة ، وذلك لأنه يخضع فى كثير من الأحوال للاتجاهات السياسية للدولة ، وعلى ذلك فالتعداد الدقيق لعدد الأكراد فى العالم اليوم غير متاح بدرجة كافية ، وكل المصادر التى تتعرض إلى عدد الأكراد تضع لهم فى كل دولة يعيشون فيها تقديرين أحدهما منخفض والآخر

مرتفع .

وقد ذكر أطلس معلومات العالم العربى أن التقدير المنخفض لعدد الأكراد عام ١٩٩٠ هو ١٢ مليون بينما المرتفع يصل إلى ٢٥ مليون . (أطلس معلومات العالم العربى- رفيق البستانى ، فيليب فارج) .

وتشير بعض المصادر أن عددهم قد وصل الآن حسب التقدير المرتفع نسبياً إلى حوالى ٤٠ مليون نسمة بينما يشير التقدير المنخفض إلى ٢٥ مليون نسمة .

و هذا العدد من الأكراد مفتت بين أربع دول أساسية هى بالترتيب حسب كثافتهم فيها : تركيا ثم إيران ثم العراق وأخيراً سوريا بالإضافة إلى بضعة آلاف متناثرين فى الدول المحيطة مثل لبنان وأرمينية .

الأكراد فى العراق :

يسكن أكراد العراق الجزء الشمالى من البلاد وهو ما يطلق عليه اسم " كردستان الجنوبية " .

يقول الأستاذ صلاح الدين على الشامى عنهم :

" هم يعيشون فى شمال وشمال شرق العراق فى أربعة ألوية هى الموصل وكركوك وأربيل والسليمانية . ويقدر عددهم بحوالى ٣٥٪ من سكان لواء الموصل وبحوالى ٥٢ ٪ من سكان لواء كركوك و٩١٪ من سكان لواء أربيل و١٠٠٪ من سكان السليمانية . " (الوطن العربى - دراسة جغرافية - صلاح الدين على الشامى) .

وعندما خضعت العراق للانتداب البريطانى مالت سياسة بريطانيا إلى كسب الأكراد لجانبها ؛ فبذلت لهم الوعود بتأسيس حكومة كردية مستقلة فى المنطقة التابعة لهم .

وفى ٢٤ ديسمبر ١٩٢٢ صدر بالفعل تصريح مشترك بين بريطانيا

والحكومة العراقية للاعتراف بحقوق الأكراد فى تأسيس حكومة كردية . " وأتخذ البريطانيون من المسألة الكردية وسيلة للضغط على حكومة العراق وفرض المشيئة ، وقد احتضنوا فى وقت من الأوقات فكرة إقامة دولة لهم لكى يرتكز إليها وجودهم السياسى والعسكرى فى الموضع الحساس القريب من الاتحاد السوفيتى ثم عدلوا عن فكرة إقامة الدولة الكردية . . " (الوطن العربى - دراسة جغرافية - صلاح الدين على الشامى) .

غير أن الحكومة العراقية تراجعت بعد ذلك عن تنفيذ هذه الوعود للأكراد مما تسبب فى سلسلة من الثورات الكردية .

وعندما قامت ثورة ١٩٥٨م صدر الدستور المؤقت للنظام الجمهورى ينص على الاعتراف مرة أخرى بحقوق الأكراد القومية ضمن الوحدة العراقية .

وقد ضمت حكومة الثورة فى خطوة جريئة وزيراً كردياً ، كما أعادت زعيماً كردياً هارباً من البلاد كان قد سبق له قيادة الحركات الثورية للأكراد (الملا مصطفى البارزانى) حتى أن زعماء الثورة خصصوا لسكنه قصر رئيس الوزراء السابق الذى تم اغتياله .

لكن الود لم يدم طويلاً ففى سبتمبر عام ١٩٦١م دكت الطائرات العراقية المنطقة الكردية مما أذن بعودة المقاومة الكردية المسلحة تجاه الحكومة وتجددت الثورة من جديد .

أكراد العراق وبيان ١٩٧٠ :

وبعد قيام انقلاب حزب البعث عام ١٩٦٨ قرر مجلس قيادة الثورة إنهاء الأزمة وحل مشكلات البلاد وعلى قمتها مشكلة الأكراد فأصدر بياناً بتاريخ ١١ مارس عام ١٩٧٠ م .

وقد أعطى هذا البيان للأكراد قائمة طويلة من الحقوق إذ أعترف من

جديد بالوجود الشرعى للقومية الكردية ، وقرر أن يكون أحد نواب رئيس الجمهورية كردياً ، واعتبار عيد النوروز (العيد القومى للأكراد) عيداً رسمياً فى الجمهورية العراقية .

أما اللغة الكردية فقد تقرر أن تكون لغة رسمية مع اللغة العربية فى المناطق التى غالبية سكانها من الأكراد ، وأن تكون هى لغة التعليم فى هذه المناطق بالإضافة إلى إنشاء جامعة فى السليمانية (محافظة عراقية سكانها بالكامل من الأكراد) ومجمعاً علمياً كردياً . .

وفى عام ١٩٧٤ تم الاتفاق على قانون الحكم الذاتى للأكراد فى العراق ، غير أن الأكراد بقيادة مصطفى البارزانى رفضوا القانون وأعلنوا الحرب طمعاً فى الاستقلال التام .

والعراق هو البلد الوحيد الذى كررت حكوماته أكثر من مرة الاعتراف بحق القومية للأكراد كما أقرت لهم حكماً ذاتياً ولو بصورة منقوصة ، بينما هم غير معترف بهم كقومية فى باقى الدول كما فى تركيا على سبيل المثال إذ كانوا يطلقون عليهم اسم " أتراك الجبل " لتُمحى تماماً كلمة أكراد .

غير أن فترات الود لم تكن تدوم سوى بضع سنوات على الأكثر نظراً لوجود أطراف أخرى كثيرة تقاوم فكرة استقلال الأكراد وبخاصة دول الجوار التى لا تزال تصرح حتى الآن أن قيام دولة كردية فى شمال العراق يشكل خطراً على أمنها القومى بالإضافة إلى ذلك فإن هناك عدد من المشاكل المزمنة المختلف عليها بين الأكراد وبين الحكومات العراقية المتتالية وعلى رأسها مشكلة التعداد وكذلك مشكلة كركوك .

وبالنسبة للتعداد فالأكراد دائماً ما يعترضون على التعداد السكانى

الذى تثبته لهم الحكومة العراقية ، ويتهمونها بإخفاء العدد الحقيقى لهم فى محاولة للإنقاص من حقوقهم .

أما بالنسبة لمشكلة كركوك فهى بتعبير أدق مشكلة بترول كركوك ، فمن المعروف أن مدينة كركوك هى أغزر المناطق العراقية إنتاجا للبترول ، والأكراد يرون أنها مدينة كردية ويجب تخصيص عائدات بترولها لهم فى الوقت الذى تعلن فيه الحكومة العراقية أنها مدينة عراقية يسكنها العرب والأكراد والتركمان بنسب متساوية .

ورغم أن إيران كانت تعارض فكرة قيام دولة كردية إلا أنها كانت تمثل مصدر الدعم الرئيسى لثورة الأكراد فى العراق ، وفى محاولة لوقف المدد عن الأكراد الثائرين استجابت الحكومة العراقية لمحاولات الصلح مع إيران من جانب عدد من الدول العربية ، وقد تم الصلح بين الدولتين ووقعتا معاً اتفاقية فى الجزائر وذلك فى مارس عام ١٩٧٥ .

وبالفعل كانت هذه المعاهدة هى نهاية ثورة الأكراد فى العراق التى استمرت لعدة سنوات بعد أن فقدت النصير والمدد .

وسيطر الجيش العراقى على كل المنطقة الكردية ، ومنح الأكراد فيها استقلالاً ذاتيا محدوداً .. وبذلك ساد الهدوء الإقليم الكردى .

حروب الأكراد فى التسعينات :

بعد أن أنهت قوات التحالف الدولى ضرباتها المدمرة للعراق وأنهت مهمتها كان من ضمن الترتيبات التى وضعتها إقامة ما يسمى " بمنطقتى الحظر الجوى " أو " المنطقة الآمنة " فى شمال العراق وجنوبه ، وهما المنطقتين شمالى خط ٣٦ وجنوبى خط ٣٢ وهما يمثلان حدود العراق مع الدول المحيطة شمالاً وجنوباً .

ومن الغريب أن تخصيص هاتين المنطقتين لم ينص عليهما ضمن

قرارات الأمم المتحدة وإنما هو قرار أمريكى أصدرته الولايات المتحدة .

بقول د. بطرس غالي الأمين العام للأمم المتحدة فى ذلك الوقت: " لم يسبق لمجلس الأمن أبداً أن أيد إنشاء المناطق المحظور فيها الطيران " (٥ سنوات فى بيت من زجاج – د. بطرس غالى) .

وقد تمركزت حشود الطائرات الأميركية والبريطانية المقاتلة فى قواعد بالسعودية وباقى دول الخليج لمراقبة منطقة الحظر الجوي ..

وقد شككت الحكومة العراقية فى نوايا تحديد منطقتى الحظر ..

"نشرت صحيفة الثورة الناطقة باسم حزب البعث العراقى الحاكم أن المنطقتين وأحدهما فى الشمال لحماية الأكراد والثانية فى الجنوب لحماية المعارضين الشيعة ..وهما لم ينص عليهما فى قرارات الأمم المتحدة .. وقالت أن هذا الحظر التعسفى لا يمثل إرادة المجتمع الدولى وإنه قرار منفرد متغطرس اتخذته الولايات المتحدة والمتعاونون معها .. " (دول المثلث بين فكى الكماشة التركية الإسرائيلية – عايدة العلى سرى الدين) .

ورأت الحكومة العراقية أن الهدف من وراء منطقتى الحظر هو رعاية الأكراد والشيعة تمهيداً " لتفتيت العراق " إلى ثلاث دول واحدة للأكراد والثانية للعرب على المذهب السنى والثالثة للشيعة .

وقد استفاد الأكراد فى شمال العراق من المنطقة الآمنة فصاروا بذلك تحت حماية قوى التحالف أو بمعنى أدق تحت حماية الولايات المتحدة بصورة مباشرة .

والأكراد ينتمون لعدد من الأحزاب الكردية إلا أن الحزبين الرئيسيين فى المنطقة هما الحزب الديمقراطى الكردستانى يقوده مسعود البارزانى [1] والاتحاد الوطنى الكردستانى المنشق عن الحزب الديمقراطى بقيادة جلال الطالبانى .

---

(١) إبن الزعيم الكردى مصطفى البارزانى .

وتولى الحزبان الكرديان الرئيسيان إدارة شئون المنطقة وأجريا انتخابات لتشكيل البرلمان الكردى والحكومة الكردية ، ولكن نظراً لتعدد الولاء بين صفوف الأكراد سواء كان الولاء لإيران من ناحية أو لتركيا من ناحية أخرى أو للحكومة العراقية ذاتها من ناحية ثالثة فقد نشبت الخلافات بين الفصيلتين ثم ما لبثت أن تطورت حتى صارت حرباً . .

وفى عام ١٩٩٥ احتدمت المعركة بين الفريقين ووصل عدد ضحايا الصدامات إلى ثلاثة آلاف قتيل .

وتصدت الولايات المتحدة للإصلاح بين الفصيلتين ، وبعد مفاوضات أعلنت الهدنة بينهما تحت رعاية الولايات المتحدة الأمريكية . لكن المعارك ما لبثت أن تجددت . .

وفى أغسطس ١٩٩٦ دارت معارك طاحنة بين الفريقين . . وتوالت نداءات الولايات المتحدة بصفتها حامية المنطقة وراعية للهدنة الأولى بينهما ، ودعت القادة الأكراد إلى لقاء تحت رعايتها تم فى العاصمة البريطانية لندن للتفاوض حول هدنة جديدة . . لكن الحرب لم تتوقف .

وكان الحزب الديمقراطى الكردستانى متحالفاً مع الحكومة العراقية بينما كان الاتحاد الوطنى على علاقة بإيران .

وتبادل الجميع الاتهامات فاتهمت العراق الاتحاد الوطنى الكردستانى بالاستعانة بأربعين ألف جندى إيرانى بينما اتهم الاتحاد الوطنى نظيره الديمقراطى بأن قوات الحكومة العراقية تقاتل معه . .

وفى مطلع شهر سبتمبر ١٩٩٦ دخلت قوات الجيش العراقى إلى أربيل عاصمة الإقليم الكردستانى التى يسيطر عليها الاتحاد الوطنى

الكردستانى وسلمتها لقوات الحزب الديمقراطى ثم انسحبت .

واعترضت الولايات المتحدة لانتهاك القوات العراقية المنطقة الآمنة فى الإقليم الكردستانى وردت على ذلك رداً عنيفاً .. فقد أمطرت العراق بالصواريخ !!

عملية "ضربة الصحراء" :

فى الثالث من سبتمبر ١٩٩٦ قصفت الصواريخ الأمريكية الجنوب العراقى والعاصمة العراقية لأول مرة منذ نهاية حرب ٩١ .

"وفى ٣سبتمبر ١٩٩٦ وجهت أمريكا ضربة عسكرية إلى مواقع وصفتها بأنها عسكرية .. وأطلقت سفن وطائرات أميركية ٢٧ صاروخ كروز على أهداف فى جنوبى العراق وبعضها فى ضواحى بغداد . .قالت واشنطن أنها استهدفت مواقع للدفاع الجوى إلا أن بغداد أكدت أن الصواريخ أصابت منازل مدنية .." (دول المثلث بين فكى الكماشة التركية الإسرائيلية – عايدة العلى سرى الدين) .

وفى اليوم التالى الرابع من سبتمبر توالى سقوط الصواريخ على العاصمة بغداد لكن العراق أعلنت أن القصف أصاب أماكن مدنية آهلة بالسكان .

يقول د . بطرس غالى :

" وفى هجوم مستغرب جرى على مسافة مئات الأميال من العملية التى قام بها صدام حسين فى الشمال وجهت الولايات المتحدة ضربات إلى الدفاعات الجوية فى جنوب العراق .. لقد تجاهلت الولايات المتحدة مجلس الأمن وأفلتت بجريرتها " (٥ سنوات فى بيت من زجاج – د. بطرس غالى) .

ولقد اعتبر د. غالى أن الهجمة الأمريكية " خارج نطاق قرارات

مجلس الأمن " حسب تعبيره .

وقد عرفت هذه الهجمة التى استمرت لمدة يومين متتاليتين باسم عملية " ضربة الصحراء " وهى تعد العدوان الصاروخى الأول من نوعه منذ انتهاء حرب الخليج ١٩٩١ .

وقد نددت دول كثيرة بالعدوان الأمريكى على رأسها سوريا وليبيا وإيران وباكستان كما اعترضت روسيا وفرنسا بينما لم تحظ الولايات المتحدة إلا بتأييد بريطانيا .

وفى خضم الاستنكار الدولى نشرت جريدة الأهرام تصريح لمسئول سعودى غير معلن الاسم يعرب عن اعتراض السعودية على القصف الأمريكى للمرة الأولى منذ بداية التسعينات ، ثم تطور التصريح إلى اعتراض علنى ..

"واجهت واشنطن يوم ١١ أغسطس ١٩٩٦ أول اعتراض خليجى علنى على سياستها منذ بدء أزمة الخليج إذ أعلنت السعودية عن رفضها انطلاق غارات أميركية ضد العراق من أراضيها .. "(دول المثلث بين فكى الكماشة التركية الإسرائيلية – عايدة العلى سرى الدين) .

وبعيداً عن الهجمة الأمريكية فقد سيطر الحزب الديمقراطى الكردستانى على الأوضاع فى الشمال العراقى بعد أن استولى على العاصمة الكردية "أربيل" وكذلك على مدينة " السليمانية" العاصمة الثانية للإقليم الكردى .

وفى منتصف سبتمبر عام ١٩٩٦ اجتمع البرلمان الكردى للمرة الأولى فى العاصمة الكردية " أربيل " بقيادة مسعود البارزانى حليف الحكومة العراقية ، وقد اعتبرت الحكومة العراقية أن الشمال العراقى عاد بذلك من جديد إلى سيادة العراق .

وقد ظل الصراع بين الحزبين قائماً حتى تم توقيع اتفاقية بين الطرفين عـام ١٩٩٨ فى واشنطن لوقف إطلاق النار على أن تقسـم المنطقـة الكردية العراقيـة بين الحزبين ، وأن يشكل كل حزب منهما حكومة لإدارة الجزء الخاص به .

معاناة الشعب العراقى ومشروع "النفط مقابل الغذاء" :

منذ الأيام الأولى للغزو العراقى للكويت أصدر مجلس الأمن قراره بفرض عقوبات اقتصادية وعسكرية شاملة ضد العراق لإجباره على الانسحاب من الكويت ، وشددت الولايات المتحدة وبريطانيا من الحصار البحرى حول العراق لمنع خروج شاحنات البترول مما كبد العراق خسائر فادحة لعدم قدرته على بيع النفط .

وتعرض الشعب العراقى لمعاناة كبيرة بسبب نقص المواد الغذائية والدواء .. وقامت الأمم المتحدة باقتراح عُرف باسم مشروع "النفط مقابل الغذاء" .

يقول د . بطرس غالى :

" أوفدت الأمم المتحدة فى فبراير ٩١ فريقاً لتقييم الاحتياجات الإنسانية للشعب العراقى واقترحت هذه البعثة بيع النفط العراقى لتمويل شراء المـواد الغذائية والدواء والاحتياجات المدنية الأساسية "

(٥ سنوات فى بيت من زجاج – د. بطرس غالى) .

وقد اعترضت السلطات العراقية على صيغة المشروع لعدة أسباب منها أنه يركز على المناطق الشمالية من العراق دون غيرها وأنه يفرض وصاية على النفط بصورة معينة .. وطالت المفاوضات وسط خلاف بين دول مؤيدة وأخرى معارضة .

أما الدول المطالبة بفك الحصار عن العراق فعلى رأسها الصين

وفرنسا وروسيا يقول د. غالى عن هذه الدول الثلاث بالذات : "إن لهم مصالح مالية مهمة جداً فى العراق الذى يدين لهم بمليارات الدولارات . ولا غرو أن هذه البلدان الثلاثة كانت حريصة على التوصل إلى حل ، فى حين أن الولايات المتحدة وبريطانيا لم تكونا كذلك . " (٥ سنوات فى بيت من زجاج - د. بطرس غالى) .

وفى النهاية بدأ تنفيذ المشروع فى ديسمبر ١٩٩٦ .

ويذكر د. غالى أنه حسب قرار مجلس الأمن رقم ٩٨٦ سمح للعراق ببيع كمية من النفط بما قيمته ملياران من الدولارات الأمريكية لشراء أغذية وأدوية وإمدادات إنسانية تبلغ ١,٣ مليار دولار ، أما باقى المبلغ فيذهب إلى تعويض ضحايا العدوان العراقى والإنفاق على برامج الأمم المتحدة للتفتيش والتعويضات . (نقلا عن ٥ سنوات فى بيت من زجاج - د. بطرس غالى) .

والحقيقة أن معاناة الشعب العراقى نتيجة الحصار كانت أكبر من أن يغيرها مشروع النفط مقابل الغذاء ، فالإحصاءات تؤكد أن عشرات بل مئات الآلاف من الأطفال العراقيين قد ماتوا من جراء نقص الغذاء والدواء ، وأن شبح المجاعة يترائى لأفراد الشعب الذين يدفعون ثمن مالم يفعلوه .

الاجتياح التركى للأراضى العراقية :

من المعروف أن العلاقات بين العراق و تركيا يشوبها التوتر منذ زمن سواء بسبب الأكراد و بسبب آخر هو الخلاف حول المياه . .

فمنابع نهرى دجلة والفرات فى تركيا بينما معظم مجرى النهرين ومصبهما فى العراق وحسب القوانين الدولية للمسطحات المائية فإن للدول التى تشترك فى نهر واحد حصص محددة من ماء النهر لا يجب

أن تتجاوزها ، لكن تركيا أقامت سدوداً على النهرين فى أرضها وصارت تتحكم فى جريانهما ، وقدسبق أن هددت تركيا سوريا بقطع مياه الفرات عنها إن هى دعمت أكراد تركيا بل ونفذت تهديدها لمدة شهر بالكامل فى منتصف التسعينات .

أما بالنسبة للأكراد فالاتهامات متبادلة بين الدولتين ؛ فتركيا تتهم العراق بدعم الأكراد الأتراك والعراق كذلك يتهم تركيا بمساندة أكراد الشمال العراقى .

وفى تطور مثير للأحداث شمال العراق أعلنت تركيا أن متمردين من مقاتلى حزب كردى تركى متمرد يدعى "حزب العمال الكردستاني " قد هاجموا مواقع تركية انطلاقاً من قواعد عراقية .

عملية " فولاز ٩٥ " :

وفى ٢١ مارس ١٩٩٥ اجتاحت القوات التركية الشمال العراقى لتعقب متمردى حزب العمال الكردستانى فيما أطلق عليه اسم عملية " فولاز الأولى ٩٥" .

وقد قدر عدد المشاركين فى الهجمة التركية حوالى ٣٠ ألف جندى قاموا بالتوغل لأكثر من ٤٠ كم فى الأراضى العراقية .

واستمرت الهجمة على الأراضى العراقية لمدة شهرين قبل أن تنسحب القوات التركية فى ٢٢ مايو ١٩٩٥ .

وأعلن الرئيس التركى سليمان ديميريل أن تركيا تطالب بترسيم جديد للحدود التركية العراقية مما دفع الجامعة العربية إلى إصدار بيان أعربت فيه عن أسفها الشديد إزاء تصريحات الرئيس التركى .

وقد تكررت الهجمات التركية على الشمال العراقى بعد ذلك لأكثر من مرة . .

ففى ٢ يناير ١٩٩٧ عبر آلاف من الجنود الأتراك متجاوزين الحدود العراقية الشمالية لمطاردة مقاتلى حزب العمال الكردستانى ، كما اتهمت الاتحاد الوطنى الكردستانى بمساندة حزب العمال . .

عملية "فولاز ٩٧" :

فى ١٤ مايو ١٩٩٧ شنت تركيا هجوماً جديداً على الأراضى العراقية ، وقصفت الطائرات التركية معسكرات حزب العمال الكردستانى ، وتوغلت القوات التركية حتى وصلت مدينة العقرة العراقية على مسافة ٢٠٠ كم من الحدود التركية فيما عرف باسم " فولاز الثانية ٩٧ " .

وتعالت أصوات التنديد بالعدوان التركى على العراق واستنكرت الدول الإسلامية واحتجت جامعة الدول العربية . . وردت تركيا بأن قواتها ستنسحب فور القضاء على الإرهاب فى المنطقة .

وفى منتصف يونيو تحركت الدبابات التركية عائدة إلى داخل حدود تركيا لتنهى الهجمة التى أعلنت المصادر التركية أن حصيلتها ١٤٥٠ قتيل من حزب العمال بالإضافة إلى ٣٠٠ مصاب .

ولم تكد تمر سوى ثلاثة أشهر على نهاية الهجمة التركية الأخيرة حتى عاودت تركيا الغارة من جديد على الأراضى العراقية فى ٢٥ سبتمبر ١٩٩٧ ، وأعلنت تركيا أن مقاتلين أكراد من سوريا وإيران قد دخلوا العراق . .

والغريب أن الولايات المتحدة أعلنت تفهمها لدوافع العدوان التركى على العراق !!

وصرحت تركيا أنها ترغب فى إيجاد حزام أمنى تركى فى الشمال العراقى تنشر فيه قواتها بصفة دائمة لمنع تسلل متمردى حزب العمال

وصرح العراق بأن السبب الرئيسى لهذا المطلب هو أطماع تركيا فى آبار النفط العراقية فى الشمال .

ولكن تركيا تراجعت عن مطلبها فى الحزام الأمنى وسحبت قواتها مرة أخرى .

المفتشون الدوليون :

عقب انسحاب القوت العراقية من الكويت تم الاتفاق على أن تقوم العراق بإزالة كل أسلحة الغازات السامة والأسلحة الجرثومية وأن تسمح لمراقبى الأمم المتحدة بتفتيش مواقع هذه الأسلحة .

وتوافد المفتشون الدوليون على العراق وتعهد العراق بالتعاون مع فرق التفتيش ، لكن المشاكل تفجرت بين العراق والمفتشين ، فقد أعلنوا أول الأمر أنهم يبحثون عن مواقع الأسلحة ثم قرروا البحث عن وثائق تخفيها العراق . .

وعندما أرادت فرق التفتيش أن تدخل إلى قصور الرئاسة رفضت السلطات العراقية . . ووصلت الأزمة إلى ذروتها عندما اتهمت السلطات العراقية المفتشين من ذوى الجنسية الأمريكية بالتخابر لدى بلادهم ، وفى تصعيد خطير للأحداث قامت بطردهم .وقد صرح وزير الخارجية العراقى لجريدة الأهرام بأن الولايات المتحدة إنما هى تبحث فى العراق عن " غراب أبيض " !! (نقلاً عن جريدة الاهرام بتاريخ ٨ ديسمبر ١٩٩٧) .

عملية " ثعلب الصحراء " :

وفى ديسمبر ١٩٩٨ قدم ريتشارد بتلر رئيس لجنة التفتيش الدولى على العراق تقريراً اتهم فيه العراق بعدم التعاون معهم بالقدر الكافى .

وفى ١٧ ديسمبر ١٩٩٨ غادر المفتشون الدوليون العراق بدون مقدمات وقصفت القوات الأمريكية – البريطانية العراق .

وتوالى القصف الصاروخى على العراق لمدة أربعة أيام وسط انتقادات دولية حادة ..

وفى اليوم الرابع والأخير أرسل الرئيس الأمريكى كلينتون رسالة تليفزيونية للعالم العربى قال فيها : " إن الضربات الجوية الأمريكية لصالح الشعب العراقى والشرق الأوسط بأكمله .. "

وقد ساد العالم العربى موجة من الأسى زاد منها أن الضربة كانت قبيل شهر رمضان بيومين فاندلعت مظاهرات عنيفة فى مواضع متعددة ، وتفجر الغضب عندما نشرت الصحف العربية صورة قام مصور من وكالة " اسوشيتد برس " بالتقاطها ويظهر بها صاروخ قبل قصفه وقد كتب عليه جندى أمريكى " Here's A Ramadan Present أى " هذه هدية رمضان "

وقد نشرت جريدة الأهرام الصورة تحت عنوان " وقاحة أمريكية " فى غرة رمضان الموافق ٢٠ ديسمبر ١٩٩٨ .

وقد أعلن العراق أن القصف قد أصاب الأحياء المدنية كما أصاب مستشفى ومحطة للكهرباء .. لكن الجنرال " أنتونى زينى " قائد عملية ثعلب الصحراء صرح أن الهجمة لم تقصف أية أهداف مدنية . وعلى ذلك تكون الولايات المتحدة قد قصفت العراق مرة فى " عاصفة الصحراء "ثم للمرة الثانية فى " ضربة الصحراء " ثم الثالثة فى " ثعلب الصحراء " ..

تُرى ما هو اسم الضربة الرابعة ؟؟

وبعد العراق من سينال شرف الضربة الأمريكية الجديدة ؟؟

ساعتها سيصرخ قائلاً إنما أُكلت يوم أُكل .. العراق .

لماذا العراق ؟

يتساءل الجميع لماذا هذا الشغف على دخول البوارج والدبابات و..و.. إلى الأراضى العراقية .

وتتفاوت الإجابات .. لكن الثابت أن الأسباب كلها لا علاقة لها بالأسلحة النووية ولا أسلحة الدمار الشامل التى لا يُعرف على وجه الدقة إن كان العراق يمتلكها أو لا يمتلكها .

وإن كان امتلاك مثل هذه الأسلحة هو مبرر كاف لدخول الجيوش الغازية فلماذا لم تدخل الجيوش الأمريكية ذات المقاصد النبيلة إلى الهند ولا باكستان وكلاهما صرح بأن لدية قنابل ذرية وكذلك كوريا الشمالية .

ولا يصح أن نذكر الكيان الصهيونى فى معرض الكلام بالطبع لأن الأسلحة والبوارج والمدمرات الأمريكية تدخل بالفعل إليهم منذ زمن ، لكنها لا تدخل على سبيل الغزو وإنما على سبيل المعونات العسكرية .

كما أن الترسانة النووية التى تقبع هناك لها مبرر وجيه فإسرائيل هى دولة مسكينة تعيش بين الوحوش والغيلان العربية التى تتربص بها لتفتك بها فى أى لحظة ، لذا فهى مضطرة اضطراراً لأن تحتمى منهم بكل ما هو نووى وذرى .

أما العراق فكما يقول الأستاذ جهاد الخازن :

" الناطق باسم البيت الأبيض زعم أن الاهتمام الوحيد للولايات المتحدة فى المنطقة هو تعزيز السلام والاستقرار وليس قدرة العراق على إنتاج النفط !! وإذا صدق القارىء هذا الكلام فهناك ترومواى فى القاهرة أريد أن أبيعه له .

العراق يملك ثانى احتياطى نفطى فى العالم بعد المملكة العربية السعودية .. والتنقيب عن النفط فى العراق توقف سنة ١٩٨٠ أولاً بسبب الحرب ثم بسبب الحصار والمقاطعة ما يعنى أن المخزون الحقيقى لنفط العراق هو أعلى كثيراً مـن الرقم المعروف المتداول .. " (نقلاً عن جريدة الحياة عدد ٢ نوفمبر ٢٠٠٢) .

فمن هذا الأحمق الذى يصدق أن الولايات المتحدة تعلن الحرب على العراق بكل هذا الإصرار والحماس وتدفع بحشودها لمعركة كل الهدف منها هو حماية الدول المسكينة التى من المحتمل أن تتعرض لخطر أسلحة الدمار الشامل العراقية وتعزيز السلام والاستقرار فى المنطقة !!

ومن الذى يضمن أن الولايات المتحدة بعد أن تفرغ من العراق لن تخرج من جعبتها أدلة جديدة تتهم بها سوريا أو السودان أو ..أو .. بأنها هى الأخرى تهدد الأمن فى المنطقة ، وهو مبرر كاف لضربها وتحطيم قدراتها العسكرية على يد القوات الفاتحة الأمريكية !!

لقد ضربت أمريكا أفغانستان ولم نحرك ساكناً ، وضربت العراق عدة مرات ولا تزال تعلن أنها ستضربها مجدداً ولم نجرؤ على مجرد الاستنكار ، وإسرائيل تقتل الفلسطينيين كل يوم ولا نملك لهم شيئاً .. فأى هوان نعيشه وأى مذلة نتجرعها ؟؟

لكننا لا نشك لحظة فى أن الحق حتماً سيعلو ، وأن الباطل إلى زوال . وشواهد التاريخ كلها تؤكد أن الأمة المسلمة يعتريها الضعف لكنها لا تموت ، فسرعان ما يقيض الله لها القائد الذى يلم الشمل ويمضى قدماً للنصر .. ﴿ **ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين . أنهم لهم المنصورون . وإن جندنا لهم الغالبون** ﴾ الصافات ١٧١ – ١٧٣ .

ماذا بعد ؟؟

من الطبيعى أن يتبادر السؤال : وبعد أن علمنا ما علمنا عن العراق وأهله ، ماذا بيدنا أن نفعل لهم ونحن لا حول لنا ولا قوة !!

إن النبى ﷺ يقول : " المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلمه . من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة من كربات الدنيا فرج الله عنه بها كربة من كربات يوم القيامة . ومن ستر مسلم ستره الله يوم القيامة " رواه البخارى ومسلم .

إن للمسلم حقاً على أخيه المسلم لا يسقط أبداً ، وإن لنا إخواناً مسلمين فى بقاع الأرض فى ضنك وكرب وكلهم له عندنا حق .

فإن لم يكن فى مقدورنا اليوم أن نؤدى لهم حقهم فنمد لهم يد العون وأن ننصرهم بسلاحنا وندفع عنهم الأذى .. ألا نملك أن ندعوا لهم ؟

وكما يقول الشيخ الغزالى :

"من حق أخيك عليك أن تكره مضرته ، وأن تبادر إلى دفعها ، فإذا مسه ما يتأذى به شاركته الألم وأحسست معه بالحزن . أما أن تكون ميت العاطفة قليل الاكتراث، لأن المصيبة قد وقعت بعيداً عنك فالأمر لا يعنيك فهذا تصرف لئيم ، وهو مبتوت الصلة بمشاعر الأخوة الغامرة التى تمزج بين نفوس المسلمين فتجعل الرجل يتأوه للألم ينزل بأخيه مصداق قول رسول الله ﷺ :"مثل المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى " رواه البخارى (خلق المسلم – الشيخ محمد الغزالى) .

ويقول الشيخ الغزالى كذلك :

" إن خذلان المسلم شيئ عظيم ، وهو – إن حدث – ذريعة خذلان المسلمين جميعاً .. إن هذا التخاذل جر على المسلمين الذلة والعار " .

أنرضى أن نأتى يوم القيامة ونحن نظن أن لنا أعمالاً صالحة تدخلنا الجنة فنجد أناساً لا نعرفهم يمسكون بتلابيبنا ويطالبوننا بحقوقهم التى لم ينالوها منا فى الدنيا فيأخذون من حسناتنا فى هذا الموقف العصيب بقدر حقوقهم ؟؟

إن أردت أن تعرف هيئة هؤلاء الناس وأوصافهم فدقق فى ملامح أهل فلسطين وأهل العراق و.. و.. فى نشرة الأخبار فإنهم هم هم الذين سيمسكون بتلابيبنا يوم القيامة يطالبوننا بحقوقهم .

إنهم إخواننا فى العراق وغيرها الذين لم نبال فى الدنيا بما يحدث لهم من ألم وأذى ، فلم نتألم لألمهم ولم نشاركهم أحزانهم وبخلنا عليهم ولو باليسير من الدعاء .

والآن أسوق لك الخبر من جديد :

إن جيش الولايات المتحدة سيضرب العراق بالمدافع والبوارج والقنابل والصواريخ و.. و..

سيضربون الكوفة التى اختار عمر موضعها وخط سعد حدودها ، وسيصوبون صواريخهم إلى الموضع الذى شهد انتصار المسلمين فى القادسية ، ولن يفوتهم أبداً أن يدمروا مدينة تكريت مسقط رأس صلاح الدين تدميراً ..

أما بغداد حاضرة خلافة المسلمين لخمسمائة عام فلن ينسوا أن يطئوها بأقدامهم جيئةً وذهاباً علهم يفرغون حقدهم وغلهم .. بماذا تشعر ؟؟ وماذا ستفعل ؟؟

اللهم احفظ العراق و أهل العراق .

اللهم احفظ إخواننا رجال العراق . .

واحفظ أخواتنا نساء العراق . .

واحفظ أطفالنا أطفال العراق .

اللهم احفظ مدن العراق وقرى العراق .

اللهم احفظ مآذن العراق وقباب العراق .

اللهم وسائر بلاد المسلمين .

آمين . . آمين . . آمين



المراجع

١ـ الأطلس العربى .

٢ـ أطلس الطالب .

٣ـ أطلس معلومات العالم العربى ـ رفيق البستانى ، فيليب فارج .

٤ـ موسوعة سفير للتاريخ الإسلامى .

٥ـ الموسوعة التاريخية الجغرافية ج١٢ـ مسعود خوند .

٦ـ د .أحمد أمين سليم ـ تاريخ العراق ، إيران ، آسيا الصغرى .

٧ـ أحمد تاج الدين ـ الأكراد شعب وقضية وطن .

٨ـ إسماعيل أحمد ياغى ـ الأقليات فى العراق .

٩ـ السيد عبد الرزاق الحسنى ـ العراق قديماً وحديثاً .

١٠ـ د. بطرس بطرس غالى ـ ٥ سنوات فى بيت من زجاج .

١١ـ حسن محمد جوهر ، محمد مرسى أبو الليل ـ العراق .

١٢ـ جاسم محمد الخلف ـ جغرافية العراق الطبيعية .

١٣ـ سعد البزاز ـ الأكراد فى المسألة العراقية .

١٤ـ سفيان بن حميدة ـ وثائق حرب الخليج .

١٥ـ د. سيد فتحى أحمد ـ اقتصاد النفط .

١٦ـ صلاح الدين على الشامى ـ الوطن العربى دراسة جغرافية .

١٧ـ عايدة العلى سرى الدين ـ دول المثلث بين فكى الكماشة التركية الإسرائيلية .

١٨ـ عبد الحكيم عفيفى ـ ١٠٠٠ مدينة إسلامية .

١٩ـ د. عبد العزيز بن إبراهيم العمرى ـ الفتوحات الإسلامية عبر العصور .

٢٠- عبد الوهاب السلوم – قضية البترول العراقى .
٢١- محمد أحمد باشميل – القادسية وحروب العراق .
٢٢- محمد جواد العبوسى – البترول فى البلاد العربية .
٢٣- محمد شيرزادة – نضال الأكراد .
٢٤- محمد عتريس – معجم بلدان العالم .
٢٥- محمود شاكر ، إسماعيل ياغى – تاريخ العالم الإسلامى .
٢٦- نبيل زكى – الأكراد الأساطير والثورات والحروب .
٢٧- د. وليد حمدى - الكرد وكردستان فى الوثائق البريطانية .
٢٨- المركز الإعلامى الكويتى بالقاهرة – جريمة غزو العراق للكويت .

❖❖❖

الموضوع الفهرس الصفحة

aml Kalifa@hotmail .Com